

فضائل الدعوة إلى الله

ومشروعيتها في الكتاب والسنة

عبد الله أحمد منصوري


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فضائل الدعوة إلى الله
ومشـروعيتها
فـي الكتـاب والسـنة

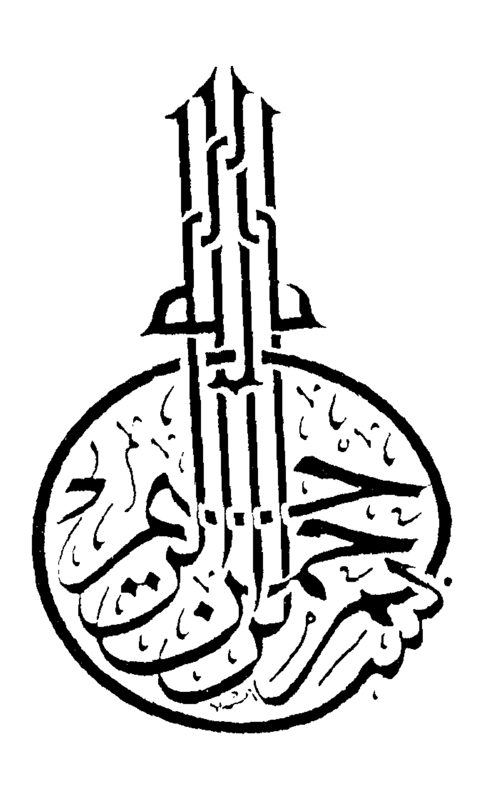
فضائل الدعوة إلى الله ومشروعيتها في الكتاب والسنة

عبدالله أحمد منصوري

- صفات الداعية
- خطوات الدعوة
- كيف ندعوا الناس إلى الله

٢١٣ منصوري، عبدالله أحمد.
٧٩٨م فضائل الدعوة إلى الله ومشروعيتها في الكتاب والسنة/
عبدالله أحمد منصوري. - ط١. - الرياض: ع. أ. منصوري،
١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٢٠ ص؛ ٢٤ × ١٧ سم.
ردمك: ٦ - ١١٩ - ٢٧ - ٩٩٦٠
١ - الدعوة الإسلامية
أ - العنوان

رقم الإيداع: ١٤/١١١١
ردمك: ٦ - ١١٩ - ٢٧ - ٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

الصف والإخراج: مركز خدمة المؤلف ت: ٦٩١٠٦٢٠٤

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلىٰ دعاة الحق المخلصين، والهداة إلى الخير الصادقين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــد :ـ

تمر أمتنا الإسلامية اليوم بظروف صعبة قاسية وبمحنة شديدة أليمة، تستوجب على كل فرد من أفرادها أن يهب لخدمتها، ويضحي من أجلها، ويفديها بكل ما يستطيع، فيعالج آلامها، ويخفف معاناتها، ويضمد جراحها.

إن حال الأمة اليوم يستصرخ كل إنسان مسلم وينادي كل فرد مؤمن غيور على دينه وأمته، أن يقوم بواجبه المقدس.

إنه واجبٌ ديني محتم لا مناص منه. إنها الأمانة التي حملها الله تعالىٰ في عنق كل فرد من أفراد الأمة، وسَيحُاسب كل واحد منا على هذا الواجب العظيم، وهذه الأمانة الملقاة على عاتقه، هل حفظها؟! أم ضيعها؟!

وإن هذه الأحوال لم تكن وليدة يومٍ أو يومين، إنها هي وليدة أزمنة وعصور، نام فيها المسلمون عن واجبهم العظيم الذي كلفهم الله تعالىٰ به، ولقد إستغل أعداء الإسلام غفلة المسلمين ورقدتهم وتركهم لدينهم وواجبهم، فعاثوا في الأمة فسادًا وسخروا كل طاقاتهم وإمكاناتهم لتمزيقها وإفسادها، حتى وصل الحال إلى ما وصل اليه في أيامنا هذه.

ونظرة واحدة عابرة إلى ما حل بالأمة من ذل وهوان تجعل الواحد منا في حيرة وذهول لا يصدق..

كيف هانت أمة الإسلام وهي خير أمة أخرجت للناس؟!!

كيف هانت أفرادًا وجماعات، وسقطت من شاهق عزها ومن أعلىٰ مجدها؟!

كيف حُفظت أوراق قضاياها، وأهملت شؤونها، وسُخِر بها وببلادها؟!

وفي المقابل كيف ساد أولئك الطغاة البغاة الأنذال الحقيرون أحفاد القردة والخنازير بغاث الأرض المستعمرون من اليهود والنصارىٰ وغيرهم؟!

كيف سادوا وهم الأحقرون الأرذلون حصب جهنم هم فيها خالدون؟!

هذا الواقع المرير، وهذا الحال الأليم يصوره أحد شعراء الدعوة الإسلامية فمثلاً في قضية فلسطين.. يقول:-

أنا لا أصدق في الحقيقة ما أرى ... في عهدهم[1] دار الزمان تغيرا
الثعلب المحتال أضحىٰ سيدا ... في الغاب تخشاه الأسود غضنفرا
والسبع أصبح كالنعامة واجما ... من أرنب قد هاله فاستنفرا
والصقر لاذ من البغات لأنه ... يبغى السلامة فالبغاث استنسرا
زمن التردي والضياع نعيشه ... زمن اليهود وليته ما عمرا
ما بال قومي صابرين على الأذىٰ ... والخصم جار بأهلهم وتجبرا
قمع وإرهاب بكل مدينة ... وبكل كفر ذاك بيت دمرا
لم يبق حرفي البلاد[2] مناضل ... إلا وقد لاقى الأسية مجبرا
الحر قيد إلى السجون مكبلا ... والعبد أصبح سيدا متحررا

(١) عهد اليهود.

(٢) فلسطين.

النـــذل أضحىٰ بعـد عسر موسرا   والـفـــذ أمسىٰ بعـــد يسر معسرا

لكن هذه الظروف الصعبة التي تمر بها الأمة لن تُضعف بإذن الله من قوتهـا، ولن تبيد من عزمهـا ولن تكـون سببًا لإستكانتها وخضوعها، بل ستبعث فيهـا العنـاد والإصرار، وتـزيدها صمودًا وإقدامًا وتضحية إذا ما عادت لربها، وصححت مسارها.

وإن من أعظم الأسباب التي أدت إلى هذا الواقع الأليم التي تعيشه أمتنا هو تركها لعمل الدعوة إلى الله وإلى رسوله، وإنشغالها بتوافه الأمور وتعلقها بأسباب الدنيا وحطامها.

لذا أحببت أن أوضح أهمية الدعوة إلى الله ومشروعيتها وفضائلها من الكتاب والسنة، وكيف ندعوا الناس إلى ذلك؟!

وما هي الصفات التي يجب على الداعية أن يتحلىٰ بها لكي تكون دعوته مقبولة وكلامه مسموعًا؟!

والله أسأل أن ينفع بها كل من يقرأها ويبلغها.

عبدالله أحمد منصوري



ديباجـــــه

الدعوة إلى الله تعالىٰ هي كلمات مباركات، تتكون من حروف نيرات تشع من جنباتها أحلىٰ وأجمل المعاني الخيرات.

يصعب تعريفها والوقوف عند معانيها.

فهي أنواع وأقسام، وهيٍ علوم وفنون، وهي مواهب وقدرات.

وإذا أردنا أن نقترب قليلاً من معناها الشاسع الكبير فعندئذٍ يمكننا أن نقول بأنها عبارة رفيعة المستوى، مدحها الله تعالى وأثنىٰ على صاحبها بجميل الثناء فقال عز من قائلٍ وهو أصدق القائلين: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[سورة فصلت، الآية: ٣٣].

هي أحسن الأقوال قاطبةً فلا قول أحسن منها.

فكل قول يراد به توجيه الناس إلى الله وإلى قدرته وعظمته هو دعوة إلى الله.

وكل قول يمدح دين الإسلام ويبين محاسنه وفضائله للناس هو دعوة إلى الله.

كل قول عن عظمة نبي الإسلام محمد، صلى الله عليه وسلم، وضرورة الإيمان به وإتباع سنته، هو دعوة إلى الله.

كل قولٍ يبين مكانة القرآن العظيم ومعجزاته وحاجة كل قلب إليه، هو دعوة إلى الله.

ولو أردنا أن نتقدم خطوة أخرىٰ إلى الامام في تعريف الدعوة إلى الله عندها يمكن أن نقول أن الدعوة إلى الله هي كل حركة أو سكنه أو فعل أو

خُلق أو نشاط يُقصد به رفعه الإِسلام ونشره وتكثير سواده وبث أنواره.

وهناك معاني كثيرة يمكن أن تدخل تحت هذا المدلول الواسع الكبير، والتي يصعب حصرها، والوقوف عند حدها في هذه العجالة السريعة.

* * * *

نظـرات
فـي عمـل الدعـوة

- تمهيـد.
- أهمية الدعوة إلى الله تعالى.
- مثال عمل الدعوة إلى الله تعالىٰ.
- دور الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم.
- مثال المسلم.
- أثر الدعوة في المجتمعات.
- الفرق بين الدعوة إلى الله تعالىٰ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



تمهيد

الدعوة إلى الله تعالى هي من أعظم الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد المسلم إلى الله تبارك وتعالى وهي من أعظم الأمور التي تتضاعف بها الأجور وتمتلىء بها صحائف الأعمال بالثواب والحسنات فكل من دعا إلى هدى فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئًا، هكذا أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

أهمية الدعوة إلى الله تعالى :-

للدعوة إلى الله تبارك وتعالى أهمية كبرىٰ في إنتشار هذا الدين العظيم، وتوسيع رقعته وتكثير سواده.

يقوى هذا الدين بقوتها ويزداد بإزديادها، ويضعف بضعفها.

وللدعوة أهمية كبرىٰ أيضًا في صيانة عقيدة الفرد المسلم وعباداته ومعاملاته وأخلاقه.. أما أثرها على المجتمع فهو أثر عميق كبير لا يخفى على كل ذي لب، فهي السياج الواقي الذي يحفظ المجتمع من التيارات الخارجية المنحرفة فكريًّا واجتماعيًّا وغيرها.

والدعوة إلى الله تعالى هي الحصن المكين الذي يتحصن به المجتمع المسلم من الهجمات الشرسة التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام والمسلمين بدافع حقدهم على هذا الدين، وبغضهم له ولنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم.

مثال عمل الدعوة إلى الله :-

كما أن الماء ضروري لنماء الزروع والأشجار وبقائها وإزدهارها. به تخضر الأرض وتتفتح الورود والأزهار فتنثر شذاها وعبيرها معطرة الأجواء

بالروائح الزكية والثمار الحلوة الجميلة. وإذا فقد الماء وانعدم تذبل الأشجار وتتضمحل الحدائق وينقطع عطاؤها وثمارها وتتقصف وتتحول الحديقة الغناءه من جنان وأرفه إلى خرابة تالفة، تنبت فيها أشجار الشوك، وتصير مرتعًا للحيات والأفاعي والحشرات الضارة.

كذلك عمل الدعوة إلى الله تبارك وتعالىٰ هو كسقاية الماء للأشجار، به تصح العقيدة وتصلح المعاملة وتسود الأخلاق الحسنة والصفات الطيبة في أفراد الأمة كلها. أما إذا فقد هذا العمل أو ضعف فعندئذٍ تكثر الرذيلة وينتشر الفساد.

دور الصحابة والسلف رضي الله عنهم :ـ

الصحابة والسلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ هم الذين سقوا حديقة الإسلام[1] بماء الدعوة إلى الله وإلى دينه.

أمنوا بالرسول، صلى الله عليه وسلم، وصدقوه، فهان عليهم كل شيء في سبيل ذلك، هانت عليهم نفوسهم الغالية وأموالهم النفيسة، وتلذذوا بالمكاره والمرارة في سبيل الدعوة إلى الله، وظهرت منهم عجائب الإيمان بالغيب والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والحرص على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها.

إستهانوا ـ رضي الله عنهم ـ بزخارف الدنيا وحطامها ونشروا خيرات الإسلام في العالم، حتى إتسعت حديقته وكبرت وطابت ثمارها، وكثرت خيراتها، وتمتع الناس بتلك الثمار الخيرة المباركة.

وكانوا رضي الله عنهم يخرجون في سبيل نشر هذا الدين في مشارق

(١) حديقة الإسلام = المجتمع المسلم.

الأرض ومغاربها. ما تركوا مكانًا يستطيعون أن يصلوا إليه إلا وصلوه، نسوا في ذلك شهواتهم وملذاتهم، وتركوا راحاتهم، وغادروا بلادهم، وبذلوا أرواحهم ومهجهم في سبيل الله تعالىٰ، حتى خشعت القلوب لبارئها، وهبت رياح التوحيد والإيمان قوية عاصفة طيبة مباركة، وعمت الهداية سائر أسقاع الدنيا، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

ولكن مرت على المسلمين أزمان تركوا فيها هذا العمل العظيم وزهدوا فيه وتناسوه، وانصرفت جهودهم إلى الدنيا وحطامها فنقص وشح الماء في حديقة الإسلام وبدأت الأشجار تذبل وتتقصف، وحل محلها أشجار الشوك، وعاثت الحشرات والأفاعي في حديقة أمة الإسلام حتى صارت إلى ما صارت إليه في هذه الأيام.

مثال المسلم :-

مثال المسلم وقد حبسه حب الدنيا والتعلق بمتعها وملذاتها الفانية عن عمل الدعوة إلى الله وإلى رسوله، والجهد لدينه مثاله: كمثل الأسد المحبوس بين القضبان في حديقة الحيوان لا أحد يخافه ولا يكترث له حتى الأطفال الصغار لا يفزعون منه ولا يرهبونه بل يهزأون به ويرمونه بالحجارة وما ذلك إلا لأنه محبوس.

ولو إنفتح باب القفص وخرج الأسد من بين القضبان فإنه لا يبقى أحد إلا ويخافه كبيراً كان أو صغيراً قريبًا كان أو بعيدًا، قويًا كان أو ضعيفًا، لا يبقى أحد في الحديقة إلا هرب، وإرتعدت فرائصه وسقط قلبه عند رجله حتى الناس الذين يسكنون بعيدين عن الحديقة يصيبهم الهلع والخوف لأن أسدًا إنفلت من قفصه.

هكذا المسلم إذا تحرك لدين الله وخرج داعيًا ومبلغًا لدينه، فإن قوى الشر والباطل كلها ترتعد خوفًا منه وتنتفض هلعًا، وعندها يقال لأهل

الباطل: ﴿يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٨].

من هذا المثل يتبين لنا ضرورة الحركة للدين والدعوة إلى الله وإلى رسوله، والترفع عن حياة الراحة والرفاهية والأنفة من العيش على هامش الحياة، فإن من أراد غاليًا لابد عليه من دفع الغالي، ومن أراد العزة والكرامة والسعادة والراحة فلابد له من التضحية والبذل والفداء للدين.

أثر الدعوة في المجتمعات:

بالدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ يخرج من بيوت الملحدين موحدين.

وبترك عمل الدعوة إلى الله يخرج من بيوت الموحدين ملحدين، ومع أن هذا الأمر واضح لا يحتاج إلى بيان، إلا أن كثيرًا من عامة المسلمين لا يفهمون أثر قيام الدعوة إلى الله وأهميتها في الحفاظ على الدين وشعائره المباركة في المجتمع المسلم وضرورتها في تفهيم الأعداد الكبيرة من غير المسلمين وتعريفهم سماحة الإسلام وحاجة كل نفسٍ بشرية إليه أشد من حاجتها إلى الماء والطعام والشراب بل وأشد من حاجتها إلى التنفس والهواء، وإن النفس البشرية لا تسعد ولا يصلح حالها ولا يطمئن قلبها إلا بهذا الدين العظيم.

والذي يتجول في بلاد الشرق والغرب يرى الكثير من غير المسلمين ممن دخلت بشاشة الإيمان في قلوبهم وهم من أصلاب كفرة ملحدين. وذلك بسبب وجود عمل الدعوة في بيئاتهم وأوساطهم.

وفي المقابل هناك الكثير في عالمنا الإسلامي من الشباب الذين تعلموا في دول الشرق والغرب أو عاشوا فيها حيث ينعدم جهد الدعوة إلى الله وإلى دينه قد إرتدوا عن دينهم، وتحولوا إلى كفرة ملحدين.

والله تبارك وتعالىٰ مدح الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مدحهم في القرآن

فقال جل من قائل: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٧].

كل هذا المديح كان للصحابة الكرام الذين هم من أصلاب الكفرة المشركين، وذلك بسبب إستجابتهم لله ورسوله وجهادهم وخروجهم للدعوة إلى دين الإسلام المبارك.

وفي المقابل لَعَنَ الله تعالىٰ أبناء الأنبياء عليهم السلام بسبب كفرهم وتركهم لعمل الدعوة إلى الله..

قال تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٨].

الفرق بين الدعوة إلى الله ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يشتبه على كثير من الناس الفرق بين الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالكثير من عامة المسلمين لا يستطيعون التفريق بين معنى الدعوة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولبيان هذا الأمر وتوضيحه ينبغي معرفة ما يلي:ـ

١ ـ الدعوة إلى الله هي كلمة عامة شاملة لجميع النشاطات الدينية التي يُقصد بها تقوية الإيمان بالله ونشر دينه وتبليغ رسالته للناس.

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما قسمان من أقسام الدعوة الكثيرة المتعددة.

٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من أهم أقسام الدعوة إلى الله ومن أبرز أنواعها، والله تعالىٰ جعلهما مع الإيمان به سببًا لخيرية هذه الأمة وأفضليتها على الأمم السابقة، وذلك في قوله تعالىٰ:ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على كل مسلم بحسب إمكاناته، ويختلف هذا الواجب بإختلاف أحوال الأشخاص، وهذا واضح في حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»(١).

فتارةً يكون واجبًا باليد وهو على ولاة أمور المسلمين ومن هم في شاكلتهم ويدخل في ذلك نهي الوالد لولده والزوج لزوجته إلى غير ذلك ممن يملكون القوة والقدرة والقيمة المعنوية وهو واجب باللسان على العلماء والدعاة والوعاظ والمرشدين وغيرهم من أصحاب المنابر. وهو واجب بالقلب على جميع المسلمين.

٥ ـ من قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد قام بالدعوة إلى الله.

ومن قام بأي نوع آخر من أعمال الدعوة وهي كثيرة مثل: النصح والتواصي والوعظ والإرشاد وغيرها.. من قام بأحد هذه الأنواع فهو أيضا قام بالدعوة.

٦ ـ لابد لكل فرد مسلم مهما كان وضعه ومنزلته لابد له من نشاط دعوي يخدم به دينه ويُعلي كلمته، ويحرس عقيدته، اما بالأمر بالمعروف

(١) صحيح مسلم وغيره.

والنهي عن المنكر، والنصح، والإرشاد، أو حتى بتفقد أحوال المسلمين وزيارتهم والسلام عليهم، وهذا أيضًا بحد ذاته هو دعوة إلى الله إذا صحت فيه النية.

٧ ـ عمل الدعوة إلى الله بما فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره لا يشترط فيه أن يكون الداعية من العلماء أو الفقهاء بل يكفي المسلم ما يعلمه من دينه بالضرورة لكي يكون داعيًا إلى الله وآمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر.

فمثلاً هناك أمور كثيرة يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها، ولا يعذر أي أحد في جهلها مثل الإيمان بالله.. والصلاة.. إلى غير ذلك من أمور لو جهلها المسلم فإنه يكون خارجًا عن دائرة الإسلام.

هذه الأمور التي يجب على كل مسلم أن يعلمها بالضرورة هي مادة غزيرة جدًّا للدعوة إلى الله وزادًا مهمًّا لها، لأن الكثير ممن يسمون أنفسهم مسلمين ويملأون فراغًا كبيرًا من خارطة العالم الإسلامي من يحتاجون إلى أبسط أنواع المعرفة الإسلامية.

هنـاك الكثير ممن لا يعرفون العقيدة الصحيحة ويقعون في الشرك الأكبر الذي حرم الله الجنة على صاحبه.. فمن لهؤلاء؟!

والمسألة الأخرى أن هناك أعدادًا ليست بالقليل من المسلمين ممن هم على علمٍ ومعرفة بأمور دينهم ويعلمون الحلال والحرام وغيره ولكنهم غافلون أو ناسون أو متناسون، وكل هؤلاء يحتاجون إلى التذكير والتنبيه، لذا يجب على كل من أكرمه الله تعالى بالهداية والقلب الواعي والشعور بالمسؤولية أن يهب لخدمة دينه، وأن يقوم لعمل الدعوة إلى الله وإلى رسوله، وأن يسخر له كل طاقاته وقدراته ليعم الخير وتنتشر الهداية وتنزل رحمة الله.

الدعوة إلى الله
في القران الكريم

- صيغ الدعوة إلى الله .
- دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله .
- نماذج من الدعوة في القرآن الكريم .

صيغ الدعوة في القرآن الكريم

وأقصد بذلك العبارات التي أوردها الله تعالى في كتابه العزيز والتي توضح معاني الدعوة وأنواعها وأقسامها والطرق العديدة الكثيرة التي وردت بها تلك الآيات المباركات. ومن تلك الصيغ ما يلي :ـ

١ ـ الدعوة بصريح لفظها :ـ

وردت في ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى لنبيه، محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿**فلا ينازعنّك فى الأمر وادع إلى ربك. .**﴾ [سورة الحج، الآية: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣٦].

٢ ـ الدعوة بصيغة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :ـ

منها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]].

وهـذا القسم من أقسـام الـدعوة إلى الله تبارك وتعالىٰ هو من أهم أقسامها ومن أعظمها شأنًا.

٣ ـ الدعوة بصيغة التبليغ :ـ

ومنها قوله تعالى للنبي، صلى الله عليه وسلم، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٩].

٤ ـ الدعوة بصيغة النصح :ـ

منها قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ

لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٩١].

٥ ـ الدعوة بصيغة التواصي :ـ

منها قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

٦ ـ الدعوة بصيغة الوعظ :ـ

منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٦].

٧ ـ الدعوة بصيغة التذكير:ـ

منها قوله تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرىٰ تنفعُ المؤمنين﴾[سورة الذاريات، الآية: ٥٥].

٨ ـ الدعوة بصيغة الإنذار:

منها قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٤].

وهناك صيغ أخرىٰ جاءت في القرآن الكريم تبين صفة الدعوة وأنواعها وأقسامها قد يطول المقام بذكرها.

* * * *

دعوة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله

أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، سيد الخلق جميعًا وأفضل الأنبياء والرسل في كتابه العزيز أمره أن يتلمس طريقة إخوانه الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله وأن يقتدي بهم ويستفيد من تجاربهم وخبراتهم في هذا المجال.

ويقول تعالى مخاطبًا له، صلى الله عليه وسلم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٠].

قال إبن كثير في تفسير هذه الآية: قال تعالىٰ مخاطبًا عبده ورسوله محمد، صلى الله عليه وسلم: «أولئك» يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان «الذين هدى الله» أي هم أهل الهدى لا غيرهم «فبهداهم أقتده» أي إقتد واتبع، وإذا كان هذا أمرًا للرسول، صلى الله عليه وسلم، فأمته تبعٌ له فيما يشرعه ويأمرهم به.

قال البخاري عند هذه الآية: إن مجاهدًا سأل إبن عباس في قوله تعالى: ﴿فبهداهم إقتده﴾ فقال ابن عباس: نبيكم محمد، صلى الله عليه وسلم، ممن أُمر أن يَقْتَدِي بهم «يعني بالأنبياء السابقين» أ. هـ[١].

وتتابعت الآيات الموضحة لقصص الأنبياء والرسل السابقين وترادفت على نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، ولأمته من بعده حتى لا تكاد سورة في القرآن تخلو من آية تقص قصة نبي من الأنبياء أو تبين جهاده وصبره على

(١) أ. هـ. إنتهىٰ الكلام المنقول.

دعوة قومه وتحمله المشاق من أجل ذلك.

من هذه الآيات على سبيل المثال:

* قوله تعالى مخبراً عن نبيه صالح: ﴿وإلىٰ ثَمُودَ أخَاهُم صٰلحاً قال يا قومِ اعْبُدُوا الله مَا لَكُم مِنْ إلٰهٍ غَيْرُهُ﴾.
* وقوله تعالى مخبرًا عن نبيه شعيب: ﴿وإلىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قال يٰقَوْمِ اعْبُدُوا الله مَا لَكمُ مِنْ إلٰهٍ غَيْرُهُ﴾.
* وقوله تعالى لنبيه موسىٰ: «اذْهَبْ إلىٰ فِرعَوْنَ إنَّهُ طغَىٰ، فَقُلْ هَل لَّكَ إلىٰ أن تَزَكَّىٰ، وأَهْدِيَكَ إلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾.

وهناك آيات كثيرة عديدة ومنتشرة من أول القرآن إلى آخره تبين حال الأنبياء وقصصهم ودعوتهم مما يطول بها الحديث ولا يسعه المقام.

وكل الآيات التي وردت في هذا الصدد كانت مصبرة للنبي، صلى الله عليه وسلم، ومثبتـه لفؤاده ومـوجهـة لأمتـه من بعـده ومعلمة لها الطرق السديدة، والسبل القويمة للدعوة إلىٰ الله والجهد لدينه.

وهذا النمط من الآيات هو في الحقيقة خارج عن هذا البحث الذي نحن بصدده الآن، إذ أن المقصود من بحثنا هذا الإشارة إلى الآيات التي تتعلق بأمر الله ـ عز وجل ـ لهذه الأمة المحمدية. . أمة الإسلام وما خصها الله تعالى من شرف الدعوة إليه من دون الأمم السابقة كلها، إلا أن هناك نماذج عظيمة من قصص الدعوة إلى الله في القرآن الكريم تفرض علينا إلا أن نذكـرهـا لأهميتها ولحاجة الأمة اليها، ولعل في ذكرها وسردها إشعالاً للهمم وإيقاظًا لضمائر الناشئة من الشباب المسلم الذين نسوا واجبهم نحو دينهم واعـتراهم الـوهن وحب الـدنيا، واجتهـد عليهم أعـداء الإسـلام المتربصين به فأغرقوهم في الشهوات المحرمة، وأضعفوا إيمانهم وعقائدهم وأبعدوهم عن قرآنهم العظيم مصدر عزتهم وكرامتهم.

الأمر الذي أدى بهم إلى هذه الحال التي هم عليها الآن من ضعف في الإيمان وموت في القلوب وجدب في المثل والأخلاق.

وهذه في الحقيقة هي أعظم هزيمة منيت بها أمة الإسلام وأكبر كارثة حلت بديارهم، من أجل ذلك أسوق هذه النماذج العجيبة الحية لتبعث في نفوس الناشئة الغيرة على عقيدتهم والحماس لدينهم.

نماذج من الدعوة في القرآن الكريم

هدهد يدعو إلى الله:.

الأنبياء والرسل عليهم السلام هم المسؤولون عن تبليغ رسالات الله والدعوة إليه ـ عز وجل ـ، وهم المكلفون بأمر منه تبارك وتعالى، إلا أن هناك نموذج عجيب في القرآن الكريم تشرف بهذا العمل العظيم وهو خارج عن دائرةِ التكليف والمسؤولية، لكنه قام بالدعوة خير قيام، وتفانى من أجلها وقدم ما يستطيع في سبيلها، وعرض نفسه للخطر من أجلها. لذلك أورد الله قصته في القرآن لكي تكون عبرةً لهذه الأمة المكلفة المسؤولة.

والعجيب أن هذا الطائر كان يعيش عند النبي سليمان الذي سخر الله له الريح، وسخر له الجن، وأعطاه ملكًا لم يعطه أحدًا من العالمين. عاش هذا الطائر عند ذلك النبي الذي أُعطِي كل هذه الإمكانات، وهذه الطاقات والقدرات ومع هذا لم يتقاعس أن يبلغ الدين ويتفكر لإنقاذ البشر.

والمسلم وهو من أكرم خلق الله، ومن خير أمة أخرجت للناس فهل يتأخر عن هذا الأمر؟!!

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَال مَالِي لَا أَرَىٰ الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائبين، لأعذبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذبَحَنَّهُ أَوْ لَيأتيني بِسُلطَنٍ مُبينٍ﴾ [سورة النمل، الآية: ٢١].

ذلكم هو الهدهد.. لم يكن من عالم الإنسان. إنه طائر شرفه الله تعالىٰ بهذا العمل العظيم، وخلد ذكره في القرآن الكريم إلى يوم القيامة، خرج في رحله ليس كرحلة رفقائه ومن هم على شاكلته ممن يخرجون لكسب

الطعام والرزق لإبقاء الحياة إنها رحلة عجيبة غريبة من نوعها.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وجِئْتُكَ مِن سَبَأ بِنَبأ يَقِين﴾ [سورة النمل، الآية: ٢٢]

قطع المسافات وسافر إلى بلادٍ بعيدة ليس لرغبةٍ في جسده أو نزوةٍ في نفسه، بل كان في سبيل الله في رحلةٍ إستكشاف دعويه هدفها إخراج الناس من الظلمات إلى النور يظهر ذلك واضحًا في إستنكاره وتعجبه!!

﴿إنِّي وَجَدتُّ إمرأةً تَملكُهُم وأُتيتْ مِنْ كُلِّ شيٍء ولهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ، وَجَدتُها وَقَومَهَا يَسْجُدُونَ للشَّمسِ مِنْ دُونِ الله وزَيَّنَ لَهُمُ الشيطانُ أعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ، أَلَّا يَسْجُدُوا لله الَّذي يُخْرِجُ الخَبءَ فِي السَّماواتِ والأرضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٢٥].

رحل الهدهد من الشام إلى اليمن ورجع يحمل الأخبار.

وياليت المسلمون اليوم يقلدون هذه الرحلة ويقومون بمثيلاتها، ويجندوا أنفسهم ن أجلها.

كيف لا!! وهم المكلفون بأمر الله بالقيام بهذه المهمة، وهم مسؤولون عن نشر هذا الدين وبقائه في أنفسهم ومجتماعتهم.. بل وفي البشرية كُلِهَا جَمعاء.

وإذا كان الهدهد ذلك الطائر العجيب الذي لم يكلفه الله تعالى ولم يأمره سيدنا سليمان بذلك قام بالدعوة إلى الله ورحل من أجلها. فما بالنا نحن اليوم وأمتنا الإسلامية في أمس الحاجة إلى هذا الجهد المبارك الذي يعيد للمسلمين عزهم ومجدهم ويستصلح الفاسد من أمرهم.

الجن دعاة ومنذرين:.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا

سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٣٠].

صرف الله تعالى نفرٌ من الجن إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يستمعون القرآن الكريم بعد رجوعه من الطائف التي آذته وطردته وأدمت قدمه ورفضت دعوته فما كان من الله تعالىٰ إلا أن أرسل إليه الجن لتعزيته ومواساته.. جاءوا إليه وتشرفوا بسماع القرآن، وبعد إستماعهم إليه وجدوا أمرًا عجبًا لم يعهدوه ولم يعرفوه من قبل، فما إستطاعوا أن يكتموه في صدورهم بل رجعوا إلى قومهم دعاةً إلى الله ومنذرين، مع أنه، صلى الله عليه وسلم، لم يكلفهم ولم يأمرهم بذلك، بل فعلوه لما وجدوا في قلوبهم من النور والهدى وكأنهم إقتدوا بأصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، الذين بذلوا أقصىٰ ما يستطيعون لنشر هذا النور الذي عمر قلوبهم وتعلقت به نفوسهم.

فهذا سيدنا أبو بكر الصديق من أول يوم دخل فيه الإسلام ذهب يدعوا أصحابه من غير تكليف من النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي بضعة أيام قلائل دخل على يديه في الإسلام ستة من العشرة المبشرين بالجنة»[1].

وهذا سيدنا أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ بعد أن إعتنق الإسلام، أمره النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن يكتم إسلامه ويخفيه، ولكنه لم يستطع إلا أن يصرخ به في وسط قريش.

وهذا صحابي آخر إسمه عروة بن مسعود من ثقيف جاء بنفسه إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه أن يرجع لى قومه داعيًا ومبلغًا.

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إني أخاف أن يقتلوك**»[2]

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٤.

فرد عليه قائلاً: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. فأذن له رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

فرجع إلى قومه مسلمًا، وفي العشاء جاء ثقيف يحيُّونه فدعاهم إلى الإسلام، فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه.

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ عروة مَثَلُ صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله فقتلوه**»(٢).

وهناك نماذج أخرى كثيرة من قصص الصحابة التي تبين حرصهم - رضي الله عنهم، وحبهم الشديد للخير لغيرهم كما يحبونه لأنفسهم، وكما أنهم وجدوا في الإسلام السعادة والراحة والخير العميم، كذلك يريدونه لغيرهم من خلق الله، وهذا من علامات الإيمان التي ذكرها النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٣).

ولنا أن نسأل في زماننا هذا كم سمع المسلمون من آيات الذكر الحكيم، وأشرطة القرآن المنتشرة في أوساط الأمة، ولكن مع الأسف الشديد الكثير منهم لم يفعل مثل ما فعل أولئك النفر من الجن الذين سمعوا القرآن وبلغوه إلى قومهم.

صاحب ياسين:-

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة ياسين، الآية: ٢١].

هذا رجل اسمه حبيب النجار - كما ذكر المفسرون - جاء من أقصى

---

(١) حياة الصحابة: ١/ ١٨٤.

(٢) متفق عليه.

المدينة يسعىٰ يدعوا قومه إلى الله تعالى وفي مدينته[١] ثلاثة رسل مبعوثين. جاء يقول لهم: «يا قومي إتبعوا المرسلين. إتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون».

وهذه هي سنة الأنبياء لا يطلبون على دعوتهم أجر. والعجيب أن هذا الرجل لم يكن نبيًا ولا رسولاً بل كان صاحب ضمير يقظ وقلبٍ واعى حي، وعاطفة خير جياشة، لم يعجز أن يدعوا إلى الله ويبلغ دينه مع وجود ثلاثة من رسل الله في مدينته يقومون بنفس المهمة.

لاشك أن ذلك هو الشعور بأهمية الدين وضروريته لحياة البشر كلهم، وهو في نفس الوقت إحساس بضرورة إسداء الهداية والمعروف للناس وحب الخير لهم، ذلك الشعور الذي إمتلأ قلب صاحب ياسين به وانطلق لسانه مبلغًا عنه، وكان سببًا في تخليد ذكره وإستشهاده حيث أن قومه لما سمعوه يدعوهم إلى الله إنقضوا عليه وقتلوه فكان شهيد الدعوة.

ونظرة في أيامنا هذه نجد أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قد مات بعد أن حمَّل أمانةَ الدعوة على كاهل الأمة كلها، فلا نبي بعده ولا رسول، هو خاتم الأنبياء والرسل وأمته هي المكلفة والمسؤولة بعده إلى يوم القيامة.

صاحب ياسين كان في معية ثلاثة من رسل الله ولكنه شعر أن عليه دور يؤديه ومهمة يقوم بها.

أما المسلم اليوم ومع الأسف الشديد فقد فَقَدَ هذا الشعور وهو المكلف المسؤول.

* * * *

(١) أنطاكيه.

آيات الدعوة إلى الله

● المخصوصة لهذه الأمة.

وردت آيات الدعوة إلى الله المخصوصة بهذه الأمة في القرآن الكريم على نُسُقٍ مختلفة منها :ـ

النسق الأول من الآيات:

يبين مشروعية الدعوة وأنها تكليف من الله ـ عز وجل ـ للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، ولأصحابه وأمته من بعده وهي مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع المسلم .

النسق الثاني من الآيات:ـ

يبين فضيلة الدعوة إلى الله وماذا يترتب عليها من فلاح وخير وصلاح .

وسأتحدث عن هذين النسقين كل على حده وبشيء من التفصيل .



النســق الأول:

مشروعية عمل الدعوة في القرآن الكريم

شرع الله تعالى لنبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، ولأصحابه الكرام ولأمة الإسلام كلها من بعدهم عمل الدعوة إليه وإلى دينه، جاء ذلك في كثـير من آيات الله المباركات على صيغ مختلفة، منها ماهو تصريحي بلفظ الدعوة، ومنها ما ورد بصيغ أخرى مختلفة مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره.

أما ما كان تصريحي بلفظ الدعوة فهو ما يلي:

أولًا: قوله تعالى مخاطبًا للرسول صلى الله عليه وسلم:

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨].

ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

يقول تعالى لرسوله، صلى الله عليه وسلم، إلى الثقلين الجن والإنس آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعوا إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من إتبعه يدعوا إلى ما دعا إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي (أ. هـ.).

وعند الألوسي صاحب تفسير روح المعاني:-

«قــل هذه سبيلي» أي هذه السبيل التي هي الــدعـوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي.

«أدعو إلى الله» أي أدعوا الناس إلى معرفته سبحانه بصفات كماله ونعوت جلاله.

«على بصيرة» أي بيان وحجة واضحة غير عمياء. «أنا ومن إتبعني» أي من يتبعني كذلك هو داعي إلى الله.

«وسبحان الله وما أنا من المشركين» أنزه سبحانه تنزيهاً عن الشركاء (أ. هـ.).

وعند الزمخشري في الكشاف يقول في تفسير هذه الآية: «قل هذه سبيل» هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد هي سبيلي.

«أدعو إلى الله على بصيره» أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء.

«أنا ومن إتبعني» أي أدعوا اليها أنا ويدعوا إليها من إتبعني.

«وسبحان الله وما أنا من المشركين» أي أنزهه عن الشركاء. (أ. هـ).

* * * *

ثانيًا: قول الله تعالىٰ في سورة آل عمران:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].

يقول ابن كثير في تفسيره:ـ

يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون.

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء.

وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، **«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير»** ثم قال: **«الخير إتباع القرآن وسنتي»** رواه ابن مردوية.

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا

الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**». (أ. هـ)

ويقول الأولسي في تفسير هذه الآية:-

﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**﴾ أي أمر الله الأمة بتكميل الغير إثر أمرهم بتكميل النفس ليكونوا هادين مهدين على ضد أعدائهم.

والأمة الجماعة التي تؤم أو تقصد لأمرٍ ما وتنطلق على إتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد.

والمراد من الدعاء إلى الخير الدعاء إلى مافيه صلاح ديني أو دينوي.

ومن الناس من فسر الدعاء إلى الخير أي الدعاء إلى أمر ديني فقط، ولا يشمل أمور الدنيا.

ومن الناس من فسر الخير بمعروفٍ خاص وهو الإيمان بالله تعالى.

وقد إختلف العلماء... في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمهور العلماء على أنه من فروض الكفايات إلا أن بعضهم خالف ومنهم الشيخ أبو جعفر من الإمامية قالوا: «إنها من فروض الأعيان» (أ. هـ).

وعند الزمخشري في الكشاف:-

﴿**ولتكن منكم أمة**﴾ من للتبغيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات، ولأنه لا يصلح له إلا من عَلِمَ المعروف والمنكر، وقيل «من» للتبيين بمعنى كونوا أمةً تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر.

﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ هم الأخصاء بالفلاح دون غيرهم.

* * * *

أما الآيات التي تبين مشروعية الدعوة بصيغٍ أخرى(١): مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك فهى كثيرة وعديدة ومنها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية:

يخبر الله تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، وأورد الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسير هذه الآية قال: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾** أي خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس.

ويقول ابن كثير إنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد، صلى الله عليه وسلم، فإنه أشرف خلق الله، وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل.

قال قتادة: بلغنا أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها في مرآى من الناس دعا فقرأ هذه الآية **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾** ثم قال: **﴿من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤدي شرط الله فيها﴾**.

فمن إتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح ومن لم يتصف بذلك فهو يشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله ولعنهم (أ. هـ.).

وعند الألوسي في تفسير هذه الآية: ـ **﴿كنتم خير أمة﴾** المراد كنتم في علم الله تعالى أوفى اللوح المحفوظ خير أمة.

---

(١) بغير لفظ الدعوة.

﴿**أخرجت للناس**﴾ أي أظهرت للناس، وهو عام لأمة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، يشير إلى ذلك قول سيدنا عمر ﴿**يا أيها الناس من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤدي شرط الله تعالى منها وأشار بذلك إلى قوله: تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾.

وعند الزمخشري في الكشاف في تفسير هذه الآية:ـ ﴿**كنتم خير أمة**﴾ كأنه قيل: وجدتم خير أمة. وقيل: كنتم في علم الله خير أمة. وقيل: كنتم في الأمم قبلك مذكروين بأنكم خير أمة.

﴿**أخرجت للناس**﴾ أظهر للناس.

وقوله ﴿**تأمرون**﴾ كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة. ﴿**وتؤمنون بالله**﴾ جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به. (أ. هـ.)

* * * *

مقارنة التفاسير:ـ

أوردتُ في مشروعية الدعوة إلى الله ثلاثة آيات مباركات، ثم بينتُ ما جاء في تفسيرها عند كل من الأئمة المفسرين ـ رحمهم الله ـ الحافظ بن كثير، والألوسي، والزمخشري، وقد إتضح من تلك التفاسير أن هناك خلاف بين العلماء في حكم مشروعية الدعوة إلى الله بأقسامها وأنواعها المختلفة، والتي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هل هي فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل ذكر أو أنثى؟!

أم هي فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين؟!

في الآية الأولىٰ:ـ

﴿**قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن إتبعني**﴾.

إتفق المفسرون على أن كل من يتبع النبي محمد، صلى الله عليه

وسلم، هو داعي إلى الله وإلى دينه.. بلا خلاف بينهم وأن كل من آمن وصدق به، صلى الله عليه وسلم، واتبعه هو مسؤول عن تبليغ دعوته.

ومثال ذلك: ـ مثال وجهي العملة النقدية. لا بد: لأحدهما من الآخر.

وفي الآية الثانية :ـ **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾**.

يؤكد إبن كثير على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل فرد من أفراد الأمة وقد إستدل بأحاديث كثيرة أوردها منها ما جاء في صحيح مسلم قوله، صلى الله عليه وسلم: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده...**» ثم علق على هذه الأحاديث بقوله :ـ

إن المقصود من هذه الآية أن تكون فرقه من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه.

أما الألوسي فقد بين أن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه خلاف بين العلماء، وأن الجمهور منهم على أنه من فروض الكفايات، وبعضهم قال: أنه من فروض الأعيان.

أما الزمخشري صاحب الكشاف فقد أوضح السبب الذي نشأ منه الخلاف بين العلماء، وهو أن الله تعالى قال: **﴿ولتكن منكم أمة﴾** فكلمة «من» فسرت على معنيين. المعنى الأول: ذكره فريق من العلماء على أنه للتبعيض، وعلى هذا المعنىٰ بنوا حكمهم على الدعوة إلى الله بأنها فرض كفاية. أما الفريق الآخر من العلماء فقالوا: إن «من» هذه للتبين، وعلى هذا بنوا حكمهم على أن الدعوة إلى الله هي فرض عين على كل مسلم.

وفي الآية الثالثة :ـ

قوله تعالى: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**.

إتفق الأئمة المفسرون على أن سبب خيرية هذه الأمة وأفضليتها،

إتصافها بهذه الثلاثة الصفات المذكورة في الآية وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، وأوردوا بذلك قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الذين بين أن من لم تكن فيه هذه الصفات فهو ليس من هذه الأمة ويلحق بأهل الكتاب الذين لعنهم الله وغضب عليهم.

حـــال الأمـــة:.

لكي نصل إلى إستنتاج معقول عن حكم الدعوة إلى الله وأقسامها، يجب أن ننظر في أحوال أمة الإسلام اليوم، وما صارت إليه من تمزق وتفرق، حيث تسلط أعداء الإسلام على أراضيها ومقدساتها، وتحكموا في مقدراتها وأرزاقها حتى وصل خطرهم إلى كل بيت ومنزل في مدن البلاد الإسلامية، بل وفي كل خيمة، وبيت شعر في القرىٰ والهِجَر.

هؤلاء هم أعداء الإسلام!!

طوفان عظيم يكتسح الأمة من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها.

مخططات رهيبـة، تستهـدف النيل من عزة الأمـة وكرامتها وبهاءها ومجدها.

سموم قاتلة تسري في جسد الأمة، فتشل كل طاقاتها وتقضي على خيراتها.

كل تلك الأحوال المؤلمة، والأوضاع المؤسفة تلقي عِبئًا كبيرًا على كل فرد مسلم، ذكرًا كان أو أنثى كبيرًا كان أو صغيرًا.

نعم!! حتى الصغـار الذين هم فوق سن التمييز يجب أن تُستغل إمكاناتهم، ويُستفاد من طاقاتهم الفاعلة، فيدربوا على القيام بالعمل للدين والدعوة إليه ويُنشأوا على ذلك، وأن يُغرس فيهم أهمية وضرورة حب الخير للغير، وإسداء الهداية الغالية لجميع الناس.

فالخطر قد عم . . والداء قد إستفحل . . والعدو قد تمكن .

فلابد من توعية مكثفه ، وعمل جاد ، وصحوة شاملة . لأن حال الأمة اليوم لم يعد يقبل أن تقوم فرقة لعمل الدين والدعوة إليه ، بينما هناك فئات أخرى منطوية على نفسها قد طغىٰ عليها حب الراحة واتباع الهوىٰ .

حال الأمة لم يعد يحتمل أن يبقىٰ مسلمًا ولو واحدًا بدون عمل دعوى جاد يخدم دينه ويحرس عقيدته .

حال الأمة وإنقسامها ، وتفرقها ، ودخول أعدائها إلى عقر دارها ، لا يسمح بالتواني والتقاعس والخلود إلى الأرض .

حال الأمة هذا يفرض على كل مسلم مكلف أن يكون داعيًا من دعاة الحق ، ومبلغًا لرسالة ربه ومولاه .

* * * *

النسق الثاني :

فضائل عمل الدعوة

مما لاشك فيه أن عمل الدعوة إلى الله تعالى هو أشرف الأعمال وأفضل الوظائف قاطبة، لذلك وظف الله تعالى فيه أنبيائه ورسله وأصفيائه من خلقه إبتداءً من سيدنا نوح، عليه السلام، وإنتهاءً بصفوة الخلق محمد، صلى الله عليه وسلم، وهذا يكفي الدعوة شرفًا وفضلاً وقدرًا.

ويكفيها عزًا وفخرًا إن الله تعالىٰ جعلها رسالة أحبابه من أنبيائه ورسله، وأصفيائه من خلقه، ويزيد الدعوة إلى الله مكانة ورفعة، إن الله تعالى يقول في كتابه مخبراً عن نفسه﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[سورة يونس، الآية: ٢٥]. وفي آية أخرى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢١].

وقد نالت هذه الأمة الكريمة المباركة أمة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، أمة الإسلام نالت الشرف الكبير والقدر العظيم والفضل السابع بأن كلفها الله تعالى ووظفها بهذه الوظيفة المقدسة، وهذا العمل المبارك الذي هو وظيفة الأنبياء.

ولقد وردت في القرآن الكريم آيات مباركات توضح فضيلة الدعوة إلى الله وإلى دينه. وردت تلك الآيات في مواضع كثيرة من كتاب الله، عز وجل، كل واحدة منها توضح جانبًا من جوانب الفضيلة، وتبين مكانة الداعية ومنزلته، وماله عند الله ـ عز وجل ـ من الفضل والكرامة في الدنيا والآخرة.

وفيما يلي بعض تلك الفضائل :ـ

فضائل الدعوة إلى الله

أولاً: ـ الدعوة إلى الله هي أحسن الأقوال: ـ

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَولاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٣].

وردت هذه الآية بعد سياق آيات الإستقامة التي وصف الله بها عباده المؤمنين. فقال جل من قائل: ـ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثم إستَقَامُوا تَتَنَزلُ عليهِمُ الملئكةُ ألا تخافُوا ولا تحزَنُوا وأَبشرُوا بالجَنَّةِ التي كُنتم تُوعَدون، نَحنُ أولياَؤكم في الحياةِ الدُّنيا وَفِي الآخرةِ ولَكُمْ فيهَا ما تشتهِي أَنفُسكم وَلكُم فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلاً مِن غَفُورٍ رَّحِيمٍ، وَمَن أَحسَنُ قَولاً مِّمَن دَعَا إِلىٰ الله وَعمِلَ صَالحاً وَقَالَ إِنني مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾.

يقول إبنَ كثير في تفسير هذه الآيات: ـ

تلى عمـر ـ رضي الله عنه ـ هذه الآية على المنبر ثم قال: إستقاموا والله!! لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب.

وقوله تعالى: ﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ يعني عند الموت قائلين: ﴿**أن لا تخافوا**﴾ مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون، وقوله تعالىٰ: ﴿**نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الإحتضار نحن كنا قرنائكم نسددكم ونحفظكم بأمر الله تعالى وكذلك نكون معكم في الآخـرة نؤنس منكم الـوحشـة في القبور، ونؤمنك يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿**ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون**﴾ أي مهما طلبتم في الجنة من شيء

تجدوه ويحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿**نزلاً من غفور رحيم**﴾ أي ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفورٍ لذنوبكم رحيم بكم أ. هـ.

هنا تعليق :ـ

وبعد بيان الله ـ عز وجل ـ صفة الإستقامة وفضلها وما أعده تبارك وتعالىٰ للمؤمنين المستقيمين. بين الله ـ عز وجل ـ العمل العظيم الذي لو تمسك به المؤمن وقام به خير قيام فإنه يكون ممن كُتِبْ له الإستقامة إن شاء الله هذا العمل هو عمل الدعوة إلى الله . . الذي أورده جل ذكره مباشرة بعد آيات الإستقامة مادحًا ومثنيًا على صاحبه.

يقول تعالى : ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله**﴾ جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير:ـ

أي دعا عباد الله إليه ﴿**وعمل صالحًا**﴾ أي في نفسه مهتد بها يقول منفعة لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ولا ينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعوا الخلق إلى الخالق ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ، وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، لأن حال نزول هذه الآية لم يكن الآذان مشروعًا فيه بالكلية. لأن الآية مكية ، والآذان إنما شرع في المدينة بعد الهجرة.

وقد تلى الحسن البصري هذه الآية :ـ ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين**﴾.

فقال : هذا حبيب الله . . هذا ولي الله . . هذا صفوة الله . . هذا خيرة الله . . هذا أحب أهل الأرض إلى الله . . أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحًا في إجابته وقال : إنني من المسلمين . . هذا خليفة الله أ. هـ.

صفات مهمة :ـ

بعد أن مدح الله الداعية في الآية السابقة وأثنى عليه أحسن الثناء بين جل ذكره الصفات العالية الكريمة التي يجب على كل مسلم أن يتحلى ويتصف بها لكي تُقبل دعوته، وتنجح مهمته في إرشاد الناس، وتكون هذه الصفات زادًا له في طريقه الوعرة الشاقة.. فالمسلم لا يصلح له إلا أن يكون مستجيبًا لأمر مولاه داعيًا إليه، وموجهًا ورائدًا للقطعان الضالة من البشر المنتشرة في كل بلاد الدنيا.. المسلم هو ذاك الإنسان الذي جعل الله له الميزة على البشر جميعًا، بأن يكون هاديًا ومبشرًا ونذيرًا يحمل صفة نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، ويعمل بعمله ويتوظف بوظيفته، فقد كان صلى الله عليه وسلم، قدوة للناس جميعًا ورحمة للعالمين.

ثم إبتداء الله تعالىٰ بعد مدحه للداعية والثناء عليه. إبتدأ معرفًا الفرق بين الحسنة والسيئة، وإنهما لا يستويان، وبينهما فرق عظيم ثم قال: ﴿**إدفع بالتي هي أحسن**﴾ أي من أساء اليك فادفعه عنك بالإحسان إليه كما قال عمر رضي الله عنه: ما عاقبت من عصا الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وقوله ـ عز وجل: ﴿**فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ أي إذا أحسنت إلى من أساء اليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك ومحبتك حتى يصير كأنه ولي حميم، أي قريب اليك من الشفقة والإحسان إليك، ثم قال ـ عز وجل :ـ ﴿**وما يلقاها إلا الذين صبروا**﴾ أي ما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس ﴿**وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم**﴾ أي ذو نصيبٍ وافر من السعادة في الدنيا والآخرة[1].

---

(١) منقول من تفسير ابن كثير.

هكذا ينبغي أن تكون صفات الداعية المسلم يكون على خلق عظيم عالٍ، يدفع بالتي هي أحسن لا يقابل السيئة بالسيئة، بل تكون شيمته دائمًا أن يقابل السيئة بالحسنة، فإن ذلك أحرىٰ أن يستجلب محبة خصمه وقربه له بسبب أخلاقه الكريمة وصفاته العالية، ثم ليعلم الداعية المسلم أن هذه الصفات لا يتصف بها إلا الصابرون أصحاب الحظ العظيم.

ثانيًا ـ الدعوة طريق الفلاح :ـ

يقول تعالى في كتابه العزيز:ـ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].

مدح الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية الدعاة إلى الخير والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، مدحهم تبارك وتعالىٰ بقوله: ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾.

يقول العلامة الألوسي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير هذه الآية: ﴿**وأولئك**﴾ أي الموصوفون بتلك الصفات الكاملة المذكورة في الآية.

﴿**هم المفلحون**﴾ أي الكاملون في الفلاح وقد سُئل الرسول، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى عن درة بنت أبي لهب، قالت: سئل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من خير الناس؟! قال: ﴿**آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، وأتقاهم لله تعالىٰ، وأوصلهم للرحم**﴾ (أ. هـ).

فما أعظم هذه الشرف وما أكبر هذا القدر. أن يتحصل الداعية إلى الله الفلاح في الدنيا والآخرة بسبب دعوته إلى ربه وتبليغه لرسالته.

وهنيئًا له هذا الوصف المبارك من الله ـ عز وجل ـ خالقه العظيم.

ثالثًا: الدعوة إلى الله تجلب ـ رحمة الله :ـ

قال تعالى يصف المؤمنين والمؤمنات القائمين بأهم أقسام الدعوة :ـ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧١].

ذكر الله تعالىٰ هذه الآية بعد أن بين صفات المنافقين الذميمة، ثم عطف عليها ذكر صفات المؤمنين الحميدة. فقال جل من قائل: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي يتناصرون ويتعاضدون.

﴿**يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ وهذه من أعظم الصفات للمؤمنين والمؤمنات.

ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله» أي أن تلك الصفات المذكورة هي سبب لرحمة الله لهم (أ. هـ.).

رابعًا: البشارة للدعاة:

يقول تعالىٰ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٢]

بين الله تعالىٰ في هذه الآية صفات المؤمنين الذين إشترىٰ منهم أنفسهم وأموالهم، وهي الصفات الجميلة الحميدة والتي منها صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي من أعظم أقسام الدعوة إلى الله.

ذكر العلامة الألوسي ـ رحمه الله ـ تفسيرها في كتابه «روح المعاني» بقوله :ـ

﴿**التائبون**﴾ من الذنوب والفواحش.

﴿**العابدون**﴾ القائمون بعبادة الله المحافظون عليها.

﴿الحامدون﴾ أي الذين يحمدون الله تعالىٰ عهلى كل حال.

﴿السائحون﴾ أي الصائمون فقد أخرج ابن مردويه عن ابن سمعود أن النبي، صلى الله عليه وسلم، سئل عن ذلك فأجاب بما ذكر.

وجاء عن عائشة سياحة هذه الأمة الصيام وهو من باب الإستعارة، لأن الصوم يعوق عن الشهوات، كما أن السياحة تمنع منها.

﴿الراكعون الساجدون﴾ أي في الصلوات المفروضات وجعلهما بعض العلماء عبارة عنالصلاة لأنها أعظم أركانها فكأنه قيل المصلون.

﴿الآمرون بالمعروف﴾ أي الآمرون بالإيمان.

﴿الناهون عن المنكر﴾ أي الناهون عن الشرك.

﴿والحافظون لحدود الله﴾ أي فيما بينهم وبينه من الحقائق والشرائع.

وقال بعض المحقيقين إن المراد بحفظ الحدود ظاهرة هي إقامة الحد كالقصاص وغيره.

﴿وبشر المؤمنين﴾ أي هؤلاء الموصوفين بتلك الصفات الجليلة، ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ملاك الأمر هو الإيمان، وإن المؤمن الكامل من كان كذلك.

وحذف المبشر به إشارة إلى أنه أمر جليل لا يحيط به نطاق البيان (أ. هـ.)

خامسًا ـ النصح لله يرفع الحرج عن المتخلفين الضعفاء:ـ

يقول الله تعالى: **﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضىٰ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾** [سورة التوبة، الآية: ٩١].

وهنا جاءت الدعوة بصيغة النصح لله وهو أحد أقسامها.

يقول العلامة الألوسي ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: **﴿ليس على**

الضعفاء﴾ أي الشيوخ ومن فيه نحافة خلقية لا يقوى على الخروج والجهاد في سبيل الله.

﴿ولا على المرضى﴾ جمع مريض وهو من علاه سقم واضطراب طبيعته.

﴿حرج﴾ أي ذنب في التخلف.

﴿إذا نصحوا لله ولرسوله﴾ أي نصحوا غيرهم بالإيمان والطاعة، وقد يراد بنصحهم بذل جهدهم لنفع الإسلام والسملمين، وبأن يتعهدوا أمورهم وأهلهم وإيصال خبرهم اليهم، ولا يكونوا كالمنافقين الذين يشيعون الأراجيف إذا تخلفوا.

وأصل النصح في اللغة: الخلوص وقال: نصحته ونصحت له.

فالنصيحة يعبر بها عن جملةٍ هي إرادة الخير للمنصوح له.

﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي معناه لا سبيل لعاتبٍ عليهم فما أبعد العتاب عنهم ويحتمل أن يكون تعليل لنفي الحرج عنهم (أ. هـ.)

سادساً ـ الدعاة والمصلحون سبب لرفع العذاب :ـ

يقول تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [سورة هود، الآية: ١١٧].

جاءت الدعوة في الآية السابقة بصيغة النهي عن الفساد وصيغة الإصلاح.

وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره هذه الآية يقول تعالى فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض.

وقوله: ﴿إلا قليل﴾ أي وجد منهم قليل ممن أنجاهم الله عند حلول غضبه وفجأة نقمته.

﴿واتبعوا الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ أي استمروا على ماهم عليه من المعاصي وكانوا مجرمين.

﴿وما كان ربك ليهلك القرىٰ بظلم وأهلها مصلحون﴾ أي لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها، ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط (أ. هـ.).

ومن هنا تظهر أهمية الإصلاح والدعوة إلى الله تعالىٰ فهي ترفع العذاب وترفع النقمة وترفع الهلاك من الله ـ عز وجل ـ.

فوجود المصلحين في كل بلدٍ هو رحمة على تلك البلد وعلى أهلها وعلى كل من فيها، وغياب المصلحين في أي قرية أو في أي مدينة أو في أي مكان هو خطر عظيم ما بعده خطر حتى لو كان في القرية أو المدينة أناس صالحون وعُبـاد ومصلون، فإن كل ذلك لا يبعد عن أهل تلك القرىٰ سخط الله وغضبه وعذابه، ولا ينجيهم منه، بل يكونون مع وجود أولئك الصالحين عرضة لعذاب الله وهلاكه ولا ينجيهم ولا يخلصهم إلا وجود الدعاة إلى الله المصلحين.

سابعًا ـ الله يمدح الدعاة :ـ

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٩].

هذه صيغة جديدة من صيغة الدعوة، بينها الله تعالى في الآية مادحًا لأولئك الصحابة الكرام ومن هم على شاكلتهم ممن يأتون بعدهم من أمة خير الخلق محمد، صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: ﴿الذين يبلغون

رسالات الله﴾ أي إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها.

﴿ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله﴾ أي يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله.

﴿وكفىٰ بالله حسيبًا﴾ أي كفىٰ بالله ناصرًا ومعينًا وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد، صلى الله عليه وسلم، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب إلى جميع أنواع بني آدم (أ. هـ).

وعلى الأمة كلها إلى يوم القيامة أن يتشبهوا به، صلى الله عليه وسلم، وأن يكون مثل صحابته في تبليغ الرسالة والخشية من الله وحده ليتحصلوا على نفس المدح من الله والثناء منه تبارك وتعالىٰ ورفعة المقام.

ثامنًا: الدعاة هم أصحاب الميمنة:ـ

يقول تعالىٰ في كتابه العزيز:ـ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾[سورة البلد، الآيات ١١، ٢٠].

وردت الدعوة ي هذه الآية بصيغة التواصي حيث بين الله ـ عز وجل ـ الصفات التي تحفظ المسلم من نار جهنم والتي أشار إليها سبحانه في الآية بالعقبة وما أدراك ما العقبة.

يقول الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره:

قال ابن جرير عن إبن عمر ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: **﴿فلا إقتحم العقبة﴾** أي دخل العقبة. قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار هي سبعون درجة في جهنم.

ثم وضح الله تعالى الطريق التي فيها النجاة والخير وقال: **﴿فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينًا ذا متربة﴾** أي أن عتق

الرقبة وإطعام المساكين واليتامىٰ هو طريق النجاة من جهنم، نعوذ بالله منها.

﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمنٌ بقلبه محتسبًا لذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ أي كان من المؤمنين العاملين المتواصين بالصبر على أذىٰ الناس وعلى الرحمة بهم.

﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ أي المتصفون بهذه الصفات هم من أصحاب اليمين (أ. هـ).

وعلى هذا يتضح لنا أن صفة التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة مع الصفات الأخرى المذكورة في الآيات السابقة هي طريق النجاة من النار وهي ا لسبيل أيضًا لحصول الصفة العالية صفة أصحاب اليمين.

تاسعًا: الدعوة نجاة من الخسران:ـ

قال تعالى مبينًا أهمية أحد أقسام الدعوة وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر:ـ

﴿والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصلوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

لا يخفىٰ على الكثير ما قاله الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ عن هذه السورة «لو لم تنزل على الناس إلا هذه السورة لكفتهم».

﴿والعصر﴾ هو الزمان وقد أقسم الله تعالىٰ به على أن الإنسان في خسارة وهلاك إلا أصحاب هذه الصفات الأربعة.. الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي الحق، والتواصب بالصبر.

فلابد للحصول على النجاة من التواصي بالحق والتواصي بالصبر مع الإيمان والعمل الصالح، ومن ترك واحدًا من هذه الصفات فهو في الخسارة والهلاك. والهلاك.

وقد وردت الدعوة إلى الله في هذه السورة بصيغة التواصي بالحق والصبر، وهو حث الناس على أداء الطاعات وترك المحرمات، والصبر على المصائب والأذىٰ الذي يحصل لهم ممن يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر»[١].

فالقيام بالدعوة إلى الله ممثلاً بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر منجاة من الخسران.

عاشرًا ـ الذكرىٰ تنفع المؤمنين :ـ

يقول تعالىٰ :ـ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٥]. هذه صيغة أخرى من صيغ الدعوة ألا وهي التذكير.

يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :ـ

أي إن الذكرىٰ تنتفع بها القلوب المؤمنة أ. هـ.

وقد بين الله تعالىٰ في آية أخرىٰ قوله تعالى :ـ **﴿فذكر إن نفعت الذكرىٰ، سيذكر من يخشىٰ ويتجنبها الأشقى﴾** [سورةل الأعلى: الآية ٩، ١١].

كل من في قلبه خشية الله سبحانه وتعالى: فالذكرىٰ تنفعه وتزيد من إيمانه، أما الشقي فهو الذي لا تنفعه الذكرىٰ فيعرض عنها ويتجنبها.

وفي كلا الآيتين بين الله تعالىٰ أهمية التذكير وضرورته، وإن كثير من المسلمين لديهم العلم الكافي عن دينهم ولكنهم غافلون أو ناسون أو متناسون. فهؤلاء يحتاجون إلى التذكير والوعظ وفي ذلك عودة لهم إلى أمر ربهم.

وهذه من أعظم فضائل الدعوة الكثيرة فالمؤمن عندما يسمع أحدًا يذكره ويعظه ويلفت نظره إلى الموت والحياة الآخرة، فإنه يتذكر ويخشع قلبه وتذرف عينه فيعود إلى ربه ويخافه ويخشاه فيعمل بأمره ويجتنب نهيه.

---

(١) تعريف التواصي هذا مأخوذ من تفسير بن كثير.

لفتة في فضيلة الدعوة

ورد فيما سبق أن سبب خيرية هذه الأمة وأفضليتها على سائر الأمم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وهذه هي الثلاث الصفات التي أوردها الله تعالىٰ في الآية: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾.

وطالما هذه الصفات الثلاثة موجودة في الأمة فإنها لابد أن تكون هي القائدة المعززة المكرمة ولكن إذا تخلت الأمة ولو عن واحدة من هذه الصفات فعندئذٍ لا تصلح لقيادة الأمم وتنتفي عنها الخيرية والأفضلية، ومثال ذلك :ـ

لو أن أحدًا من الناس يتصف بصفة الكرم والجود والبذل والعطاء، فكل الناس يحبونه لهذه الصفة الطيبة فيه ولكنه إذا تحول إلى بخيلٍ طماع فعندئذٍ تغير نظرة الناس إليه وتخرج محبته من قلوبهم.

هكذا ولله المثل الأعلىٰ تشريف الله ـ عز وجل ـ وتفضيله لهذه الأمة إنما هو بسبب أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وإيمانها بالله.

فإذا هي تركت هذه الصفات أو واحدًا منها فعندئذٍ تتحول محبة الله لها إلى سخط، ويتحول كرمه إلى عقوبة وغضب.

نلاحظ أن في الآية الكريمة ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ لفتة مهمة يسأل عنها البعض وهي :ـ

لماذا قدم الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله؟ مع أن الإيمان بالله، لابد أن يكون هو في المقدمة.

يقول أحد العلماء مجيبًا على هذا الإستفسار:ـ إن هناك إرتباط قوي بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإيمان بالله.

فالأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر يولد الإيمان في القلب ويزيده ويقـويه وبتركه يضعف الإيمان حتى يكاد يختفي وينعدم من القلب وهذا واضـح في حديث النبي، صلى الله عليه وسلم: «**من رأى منكم منكـرًا فليغـيره بيـده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**» . . [صحيح مسلم].

وفي رواية أخرىٰ: «**وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان**» .

أي إذا كان المسلم لا يغـير المنكـر بقلبه فعندئذٍ ينتفي عنه الإيمان بالكلية. . وهذا سر التقديم والتأخير. .

مثال ذلك:ـ

مثـال مولد الكهرباء «الدينامو» في السيارة المولد يغذي «البطارية» بالكهرباء ويولده فيها، وبطارية السيارة بدون المولد لا تصلح للإستعمال أكثر من مرة أو مرتين، ولابد لها من وجود المولد، كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع أقسام الدعوة الأخرىٰ هي بمثابة مولد الكهرباء والإيمان في القلب بمثابة بطارية السيارة، فيحتاج المسلم ليبقى على الإيمان في قلبه ويزيده ويقويه يحتاج إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بشكل عام، وإذا عطل المسلم عمل الدعوة في حياته فهذا يشبه السيارة التي تعمل بدون مولد الكهرباء «الدينامو» . فقريبًا تفرغ «البطارية» التي ضربنا لها مثل بالإيمان ومن ثم تتعطل حركة المسلم في هذه الحياة.

* * * *

الدعـــوة إلى اللـــه
في السنة المطهرة

- مشروعية الدعوة إلى الله.
- فضيلة الدعوة إلى الله.
- نموذج من دعوة الأمم السابقة.



مشروعية الدعوة في السنة المطهرة

وردت في مشروعية الدعوة أحاديث كثيرة متنوعة منها ما يلي :ـ

أولاً : قول الرسول، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه :ـ **«أدعوا الناس، وبشروا ولا تنفروا، ويسروا لا تعسروا»**(١).

هذا أمر صريح من الرسول، صلى الله عليه وسلم، لأصحابه الكرام ثم لأمته كلها إلى يوم القيامة بأن يقوم كل فرد مسلم بالدعوة إلى الله تعالىٰ وأن يبشر من يستجيب لهذا الأمر. يبشره بالجنة والخير العميم في الدنيا والآخرة.

ويجب على كل مسلم أن يستخدم الأسلوب الحسن والرفق واللين في الدعوة، ولا يلجأ إلى الشدة والعنف وزجر الناس وأمرهم بالقوة، فإن ذلك ينفرهم ويبعدهم عن جادة الصواب ويجعلهم يعرضوا عن الحق والإستجابة إليه.

كما أن الحديث هو أمر منه، صلى الله عليه وسلم، للأمة كلها بأن ييسروا على الناس هذا الدين بتوعيتهم وتعريفهم سماحة هذا الإسلام العظيم ويسره وسهولته وأن يبينوا لهم أن شريعة الله ما قامت إلا على اليسر والسماحة، والله تعالى خاطب نبيه في القرآن الكريم بقوله : ﴿**ونيسرك لليسرىٰ**﴾.

فلكل ما جاء به النبي، صلى الله عليه وسلم، هو يسر وسماحة وكل سنةٍ جاء بها هي الرفق والسهولة.

وقد نهى النبي، صلى الله عليه وسلم، الأمة عن التعسير وهو التشديد على الناس في الأحكام، والزامهم الأصعب والأشد، والتضييق عليهم في أمور جعل الله ـ عز وجل ـ فيها الرخصة والسهولة.

---

(١) صحيح الجامع ٢٤٦.

وقد أورد الإمام البخاري في صحيحه هذا الحديث محذوفًا منه «**ادعوا الناس**» أورده بلفظ «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**» وهكذا في صحيح مسلم.

وقد شرح هذا الحديث إبن حجر في كتابه فتح الباري بقوله: «**ولا تعسروا**» قال النووي :ـ

لو إقتصر على «يسروا» لصدق على من يسَّر مره وعسَّر كثيرًا فقال: «**ولا تعسروا**» لنفي التعسير في جميع الأحوال وكذا القول في عطفه عليه «**ولا تنفروا**».

ثانياً : ـ

قوله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه والإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «**بلغوا عني ولو آية**»[1].

في هذا الحديث أمر من النبي، صلى الله عليه وسلم، لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ ولأمة الإسلام كلها إلى يوم القيامة بالتبليغ عنه، صلى الله عليه وسلم، حتى لو لم يكن عند المبلغ إلا آية واحدة فعليه أن يبلغها.

وهو في نفس الوقت تكليف من النبي، صلى الله عليه وسلم، لكل مسلم أن يوصل ما عرف أو ما سمع من آيات الله المباركة، ومن أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، الشريفة إلى كل من يستطيع أن يصوله إليه، ولا يتعلل بأن ما عنده قليل أو يسير من آية أو حديث، لأن القليل من

(١) صحيح الجامع ٣٧، ٢٨.

الآيات والأحاديث لا يقال لها قليل كما قال الشاعر:ـ

قليل منك يكفيني ولكن ** قليلك لا يقال له قليل

فالشيء اليسير من الدين من الآيات والأحاديث هو نور قضاء به حياة الإنسان ويترتب عليه الخير الكثير للأمم والمجتمعات.

ولنا أن نسأل كم يحفظ المسلمون اليوم من آيات الله المباركات والأحاديث الشريفة؟! ومع هذا فالقليل منهم هم الذين إستجابوا لأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، وبلغوا هذه الآيات.

ويتعلل الكثير من المسلمين بأنهم لم يحفظوا القرآن، ولم يجيدوا ترتيله ولا تجويده فكيف يبلغونه؟!

وهذه العلل غير مقبولة، لأن أي مسلم لابد له من حفظ الفاتحة التي هي ضرورية للصلاة، والفاتحة وحدها فيها سبع آيات والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**بلغوا عني ولو آية**» فكأنه، صلى الله عليه وسلم، يُحمِّل مسؤولية بتبليغ الدين لكل فرد مسلم مكلف مسؤول.

لذا يجب على كل مسلم أن يعرف حدود مسؤوليته وعليه أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، ثم عليه أن يُفرغ بعضاً من أوقاته ليشمل دائرة إخوانه المسلمين في أقطار أخرى من بلاد العالم المحتاجين إلى ما عنده من الآيات والأحاديث وعلمِ الدين، كمجاهل إفريقيا وغيرها، كلٌّ حسب استطاعته وقدرته المادية والمعنوية.

وعليه فلابد لكل مسلم من عمل إيجابي فعال يخدم به دينه ويُعلي به كلمة ربه عز وجل.

ثالثاً: ـ

قوله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام

البخاري عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

«**لِيُبْلِغَ الشَّاهِدُ الغائب**»[١].

وقد ورد لفظ هذا الحديث بطرق مختلفة عند الإمام أحمد في المسند وفي صحيح مسلم وعند الترمذي والنسائي.

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث في كتابه فتح الباري:

إن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم النحر قال: «**أتدرون أي يوم هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فأي شهرٍ هذا؟ فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه. فقال: أليس بذي الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسىٰ أن يبلغ من هو أوعى له منه**».

ثم بين ابن حجر شرح ألفاظ الحديث:ـ

«ليبلغ الشاهد» أي الحاضر في المجلس.

«الغائب» أي الغائب عنه.

والمراد بتبليغ القول المذكور أو تبليغ جميع الأحكام. (أهـ)[٢].

هذا الحديث قاله النبي، صلى الله عليه وسلم، في حجة الوداع يوم النحر، مخاطباً للجموع الكثيرة من الصحابة الكرام الذين تشرفوا بالحج معه، صلى الله عليه وسلم، بقوله:

«**ليبلغ الشاهد الغائب**».

---

(١) صحيح الجامع ٥٣٥٢.

(٢) إنتهىٰ كلام ابن حجر.

وكل أمر منه، صلى الله عليه وسلم، للصحابة هو أمر للأمة كلها إلى يوم القيامة، وكل من سمع حديثاً أو آية فهو في حكم الشاهد، وكل من لم يسمع فهو في حكم الغائب وعليه يكون كل من علم علماً في الإسلام يحتاج إليه الناس فعليه أن يبلغ هذا العلم إلى كل من لم يعلمه ولم يشهده.

ونحن نعلم اليوم كم من أمم في الأرض، وكم من قطعان ضالة من البشر لم يسمعوا أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، النورانية، وفي المقابل نجد المسلمين الذين تشبعوا بهذه العلوم المباركة لم يستجيبوا لأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، في تبليغها إليهم إلا القليل منهم، وهذا في حد ذاته معصية ظاهرة للنبي، صلى الله عليه وسلم، الذي أمر الشاهد أن يبلغ الغائب، وتوعد من كتم العلم بأن يلجمه الله تعالى لجاماً من نار يوم القيامة، هكذا ورد في الحديث الصحيح[١].

رابعاً:-

قوله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:

«إنما بُعِثتُم مُيسِّرينَ، ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرين»[٢].

بين النبي، صلى الله عليه وسلم، مقصد خلقة أمة الإسلام وسبب وجودها على ظهر هذه الدنيا وهو أنهم مبعوثون من الله عز وجل لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وكلمة «بعث» جاءت في القرآن الكريم في حق النبي، صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى:

---

(١) صحيح الجامع ٥٧١٣.

(٢) صحيح الجامع ٢٣٥٠.

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً﴾.

فكما أن النبي، صلى الله عليه وسلم، هو مبعوث من قبل الله بنص هذه الآية وغيرها فكذلك أمته مبعوثة إلى الخلائق بنص حديثه، صلى الله عليه وسلم، الصحيح: «**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» وغيره من الأحاديث.

ولقد فهم الصحابة ـ رضي الله عنه ـ معنى هذا الحديث الشريف فانطلقوا إلى أقاصي الدنيا يبلغون هذا الدين العظيم، وفي أذهانهم أنهم مبعثون من قبل الله ورسوله.

فهذا ربعي بن عامر عندما وصل إلى رستم في القادسية سأله: لماذا جئتم إلينا؟!

فرد عليه الصحابي الجليل: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها[١].

هكذا فهم الصحابة الكرام مقصود خلقتهم ووجودهم في هذه الدنيا، وهو أنهم مبعثون ومكلفون بوظيفة الأنبياء.

ومع الأسف الشديد أتى حين من الزمن على أمة الإسلام نسوا هذا الحديث الشريف ولم يتفهموا معناه، ولم يعملوا بمقتضاه، وأصبح مثالهم كالآتي:ـ

أحد من الناس بعث خادمة لمهمة ما، وبعد فترة طويلة رجع الخادم ولم يؤدي المهمة، ولما سأله سيده عن السبب قال: كنت الهو والعب.. فكم يكون عقابه؟!

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٤٠.

ولله المثل الأعلىٰ. الله تبارك وتعالىٰ بعث هذه الأمة بمهمة الأنبياء، وهي الدعوة إلى الله وإلى دينه ولكن الأمة وللأسف الشديد انشغلت بالحياة الدنيا التي سماها القرآن لهواً ولعباً، وتركت المهمة التي كلفها الله تعالىٰ بها، فحل عليها البلاء، وحاق بها الشقاء، ونزل بهاالعقاب. ولن يرتفع عنها ما أصيبت به إلا إذا عادت إلى دينها وقامت بمهمتها.

خامساً :ـ

قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد في المسند والنسائي عن جرير بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**أبايعُك على أن تعبُدَ الله، لا تُشركُ به شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاة المكتوبة، وتُؤتي الزَّكاة وتنصحُ لكلِّ مُسلم، وَتَبرأُ مِنَ الشرك**»[1]

وقصة هذا الحديث أوردها الإمام البخاري في صحيحه بهذا اللفظ:

«حـدثنـا أبوالنعمان قال: حدثنا أبوعوانة عن زياد بن علاقة قال: سمعت جرير بن عبدالله يقولُ يوم مات المغيرة بن شعبة، قام فَحَمِد الله وأثنى عليه وقال: عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن. ثم قال: استعفوا لأميركم، فإنه كان يحب العفـو. ثم قال: أما بعد فإني أتيتُ النبي، صلى الله عليه وسلم، قلت: أبايعك على الإسلام. فشرط على «والنصح لكل مسلم» فبايعته علىٰ هذا، وربِ هذا المسجد إني لناصح لكم. ثم استغفر ونزل.»[2].

وشرحها الحافظ بن حجر في كتابه فتح الباري على النحو التالي :ـ

---

(١) صحيح الجامع ٢٥.

(٢) صحيح البخاري.

قولـه: «النصح» أي شرط عليَّ الإسلام والنصيحة وفيه دليل على شفقة الرسول، صلى الله عليه وسلم.

وقوله: «لناصِح» إشارة إلى أنه وفىَّ بما بايع عليه الرسول، صلى الله عليه وسلم، وإن كلامه خالص عن الغرض. (أهـ).

في هذا الحديث الشريف بيان من النبي، صلى الله عليه وسلم، عن بيعه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ له وكيف كانوا يؤدونها وفيه بيان على ضرورة الدعوة إلى الله ممثلة بالنصح لكل مسلم وإنها شرط من شروط البيعة.

وقـد أشارت أحاديث أخرىٰ لهذا المعنىٰ منها قوله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في تاريخه، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال الرسول، صلى الله عليه وسلم: «**الدين النصيحة**»[1].

وقد ورد هذا الحديث بطرق أخرى.

وفي كل ما سبق بيان على ضرورة النصح لله ولرسوله والدعوة إليه سبحانه وتعالى، وأن دين المسلم لا يتم ولا يكتمل إلا إذا نصح لله ولرسوله ودعا إلى الحق والخير وحبب الناس إلى الإيمان والطاعة، وجنبهم طريق الغي والضلال، فلا يراهم على معصية أو باطل ويسكت عنهم بل لابد أن يبذل قصارى جهده ليجنبهم عقاب الله وسخطه وعندها يكون قد أدى واجبه نحوهم وفي ذلك معذرة منه إلى ربه.

سادساً: ـ

قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد وأبوداود وابن ماجه وابن حبان عن جرير ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**ما من قومٍ يُعملُ فيهم بالمعاصي، هم**

(١) صحيح الجامع ٣٤١٧.

أعزُّ وأكثر ممن يعمله، ثم لم يغيروه، إلا عمهُم الله تعالى منه بعقاب»[١].

وهناك أحاديث أخرى كثيرة وردت في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي يُعد من أهم أقسام الدعوة إلى الله.

منها ما ذكر سابقاً ومنها ما روى بسندٍ حسن عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: **«والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشِكنَّ الله أن يبعث عليكم عقابًا من عندهِ ثم لتدعُنَّه فلا يستجيبُ لكم»**[٢].

في الأحاديث السابقة بيان صريح واضح أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لعدم إستجابة الدعاء وسبب لنزول عقاب الله وعذابه وهلاكه.

وأن على كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية أن يجند جميع طاقاته وقدراته المادية والمعنوية للعودة بهذا العمل العظيم إلى سابق عزه ومجده.

لفته في مشروعية الدعوة:ـ

جاء في الحديث الذي رواه أبونعيم في «المعرفة» وغيره بسندٍ حسن عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: **«خابَ عبدٌ وخَسِرَ لم يجعلِ الله تعالى في قلبهِ رحمةً للبشر»**[٣].

في هذا الحديث توبيخ من المصطفى، صلى الله عليه وسلم، لكل من قسا قلبه وخلا من الشفقة على الناس وفيه أيضًا تقريع شديد لكل من ليس في قلبه رحمة على بني جنسه من البشر.

فالخيبةُ والخسارة في الدنيا والآخرة لمن لم يهتم بشؤون الغير وخاصة

---

(١) صحيح الجامع ٥٧٤٩.

(٢) صحيح الجامع ٧٠٧٠.

(٣) صحيح الجامع ٣٢٠٥.

بأمور دينهم بتبليغهم دين الله تبارك وتعالى وتعريفهم طريق الهداية وسبيل الرشاد.

وهذه هي أعظم رحمة أن يكون الإنسان سبباً لحفظ بني جنسه من البشر من نار جهنم، وإنقاذهم منها.

لا يُظن من الحديث أن الرحمة على البشر تكون فقط بإطعامهم وكسوتهم وتوفير أسباب الراحة المادية لهم وغير ذلك من أمور الدنيا، ومع أن هذا وارد إلا أنه من باب أولى أن تكون الرحمة عليهم بإبعادهم عن طريق الشيطان، الطريق الموصل إلى غضب الله وعذابه وعقابه وسخطه، وانقاذهم من عذاب السعير.

وهذه هي أعظم رحمة وأكبر رحمة وأجل رحمة. فكل قلبٍ خلا منها، وكل قلب لم يضع الله فيه هذه الشفقة المباركة هو قلب تعيس شقي، حكم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عليه بالخيبة والخسران.

ومما سبق يتبين لنا ضرورة تبليغ دعوة الله عز وجل لكل من لم يعرفها وأهمية إسداء الرحمة للناس وإكرامهم بهذا الدين العظيم.

* * *

فضيلة الدعوة في السنة المطهرة

وردت في فضيلة الدعوة أحاديث كثيرة متنوعة منها ما يلي:

أولاً:

روى الإمام أحمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**نضر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**»[1].

في هذا الحديث يدعو النبي، صلى الله عليه وسلم، لكل من يبلِّغ علم الدين إلى غيره ممن يحتاجونه، ولكل من يدعوا إلى الله تعالى بالنضرة والحسن والبهاء من الله عز وجل.

قد شرط عليه الصلاة والسلام في الحديث أن يكون تبليغ العلم بلا زيادة فيه أو نقصان، وفي هذا بيان على ضرورة ضبط الأحاديث وعدم تبليغها ونشرها إلا بعد التثبت من صحتها ونسبتها إلى النبي، صلى الله عليه وسلم.

وهذا واضح في قوله صلى الله عليه وسلم: «**فبلغه كما سمعه**» أي لا يزيد عليه ولا ينقص، بل يؤديه كهيئته التي سمعها به ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

أما هذه العبارة الأخيرة من الحديث: «رب مبلغ أوعى من سامع» فقد أوردها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم، أورد هذه العبارة موصوله بحديث آخر.

---

(١) صحيح الجامع ٦٧٦٤.

قال ابن حجر في شرح «رب مبلغ أوعى من سامع» أي أفهم لما أقول من سامعٍ مني. (أهـ).

وقد وردت هذه العبارة بصيغة أخرى هي:

«فإنه عسىٰ أن يكون بعض من لم يشهد أوعى لما أقول من بعض من شهد»[١].

وقد ورد بنفس المعنى حديث آخر بلفظ مختلف وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من لم يسمعها. فرب حامل فقهٍ غير فقيه، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىءٍ مسلم. إخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم. فإن دعوتهم تحوط من وراءهم**»[٢].

رواه الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن جبير بن مطعم وهو حديث صحيح.

ثانياً:

روى مسلم في صحيحه والإمام أحمد وأصحاب السنن، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**من دعا إلى هُديً، كان له من الأجر مثل أجور من تبعهُ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»[٣].

في هذا الحديث يبين النبي، صلى الله عليه وسلم، فضيلة الدعوة وعظيم أجرها وثوابها عند الله، وأن هذا الأجر والثواب دائم ومتصل لا

---

(١) فتح الباري: ١/١٩٠.

(٢) صحيح الجامع ٦٧٦٦.

(٣) صحيح الجامع ٦٢٣٤.

ينقطع، فالداعية يتحصل ثواب كل من دعاهم إلى الله لا ينقص من أجورهم شيء، وبناء على ذلك يجد في صحيفته يوم القيامة أعمالاً كثيرة وعبادات لم يعملها هو بنفسه، وإنما عملها أناس استجابوا لدعوته وتأثروا بكلامه وأخلاقه وصفاته.

يجد في صحيفته صلوات كثيرة لم يصلها، وحج كثير وصيام وغير ذلك من الأعمال الصالحة التي لم يعملها فهي في صحيفته لأنه كان يدعوا الناس إليها ويحبب الناس لفعلها.

وهذا ربح عظيم، ومكسب كبير، وفضل سابغ من فضائل عمل الدعوة الكثيرة.

قد يدعوا المسلم صديقه إلى الله فيستجيب هذا الصديق لدعوته فيزداد إيمانه، ويصلح حاله وبعدها يدعوا هذا الصديق إنساناً آخر فيستجيب ذلك أيضاً... وهكذا تستمر الدعوة من إنسان إلى آخر وكل أعمال أولئك الصالحة تسجل في صحيفة الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

ما أعظم هذا الفضل.. وما أكبر هذا الكرم من المولى عز وجل.

الداعية إلى الله يأخذ أجره كاملاً ومع أجره يأخذ أجور كل من دعاهم، وكذلك أجور من وصلت إليهم دعوته عن طريقهم إلى يوم القيامة.

وهناك حديث آخر يشبه الحديث السابق في المعنى وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الدال على الخير كفاعله**»[1].

هذه هي التجارة الحقة..

---

(١) صحيح الجامع ١٦٠٥.

وهذا هو الربح العظيم الكبير الباقي . . يربح الداعية بكل خير يدل عليه مائة في المائة.

أين هذا من تجارة الدنيا الحقيرة الفانية والتي يتراوح الربح فيها من نصف في المئة إلى . . . أعلا؟!

ونادراً جداً يصل الربح إلى مائة في المائة وإن وصل. فهل يقارن هذا الربح الفاني الحقير بالربح الأول الباقي الجليل؟!

وهل يقارن الربح الذي يفنى ويزول بالربح الذي يبقى ويدوم؟!

ألم ترى أن السـيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

ثالثاً:ـ

ورد في الحديث الصحيح المروي عند الإمام البخاري ومسلم، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي، صلى الله عليه وسلم، يقـول يوم خيبر: «**لأعطَينَّ الراية رجلاً يفتح الله على يديه فقاموا يرجون لذلك أيُّهم يُعطى. فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى. فقال: أين عليٌّ. فقيل: يشتكى عينيه. فأمر فدعى له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء. فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجبُ عليهم فوالله لأن يهدي لك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حمر النَّعَمِ**».

هذا الحديث قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لسيدنا علي ـ رضي الله عنه ـ يوم خيبر، لكنه توجيه عظيمٌ من المصطفى للأمة كلها.

إنه لفته لنظر الداعية إلى ما يدَّخره الله تعالى له في الآخرة.

فما فائدة حمر النعم وغيرها من حطام الدنيا إذا مات العبد وانتقل؟!

أما من استجاب لدعوة هذا الداعية فإنه سينفعه بعد موته، وستصله

أجور أعماله الصالحة وحسناته كلها.

الدعوة والجهاد:-

وفي الحديث بيان من النبي، صلى الله عليه وسلم، أن الإسلام عندما أمر المسلمين بالخروج في سبيل الله كان يحرص أول ما يحرص على هداية الناس وإرشادهم وليس على قتلهم وإسالة دمائهم.

جاء الإسلام ليرفع من شأن الإنسان ويرفع من مكانته، ويحقن دمه، وما شُرع الجهاد[1] لكي يقصف رقاب الناس ويذبحهم كما يزعم المبطلون المضللون في وسائل الإعلام الشرقية والغربية وغيرها.

إنما شُرع الجهاد إنقاذاً للبشر الذين هم خلف من تصدوا لدعوة الإسلام، ووقفوا حجر عثرة له، ومنعوه من التقدم ولم يسمحوا له أن يصل إلى جياع البشر وعطاشاهم.

فالمقصود إذاً من الجهاد هو دعوة الناس إلى الله كما علمنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: الدعوة ثم إذا أبوا الجزية.. ثم إذا أبوا القتال.

وأهم شيء هي الدعوة إلى الله.. هي المقصودة في المرتبة الأولى، فإذا رفض أعداء الإسلام هذه الدعوة، ورفضوا إعطاء الجزية فكأنهم أوقفوا المد الإسلامي المبارك.

أوقفوا الهداية والرشاد عمن خلفهم من أمم الأرض الذين ينتظرون ويشتاقون إلى هدى الإسلام وأنواره.

* * *

(١) الجهاد = القتال.

نموذج من دعوة الأمم السابقة

الله تعالى يصطفي لدعوته ولتبليغ دينه من يشاء من عباده ومن مخلوقاته، فاختار الأنبياء عليهم السلام لهذه المهمة الكبرى وجعلهم أفضل الخلق وأشرفهم طُراً وأعلاهم منزلة وقدراً.

واختار الله تعالى من البشر ومن غير البشر من شرفهم ورفع قدرهم لحمل رسالته ودعوة الناس إليه وهناك نماذج كثيرة من ذلك النوع قد تكلمت عنها فيما سبق في القرآن الكريم. وأما الآن أسوق نموذجاً واحداً من دعوة الأمم السابقة في السنة المطهرة.

غلام يموت شهيداً لإعلاء كلمة الله

هذا غلام من الأمم السابقة، غلام لم يبلغ سن الرجولة ولكنه تشرف بأعظم عمل وأقدس مهمة وأرفع وظيفة، تشرف بالدعوة إلى الله وقدم روحه الغالية ليعرف الناس خالقهم ومُوجدهم.

ضحى بنفسه لينقذ الناس من عبادة المخلوق الضعيف إلى عبادة الخالق القوي القاهر.

ولقد أشار الله تعالى في القرآن بلمحة موجزة عن قصة هذا الغلام في سورة البروج عند قوله تعالى:

﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا ﴾ [سورة البروج، الآيات: ٣ ـ ٧]

ثم بين النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه في حديث طويل:

عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلما كبر قال للمملك: إني قد كبرتُ فابعث اليَّ غُلاماً أعلمهُ السِّحرَ فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مَرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر.

فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حَبَستِ الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدَّابة حتى يَمضِيَ الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأَتَى الراهب فأخبره. فقال له الرَّاهِبُ: أي بُنَيَّ أنت اليومَ أفضلُ منِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنَّكَ سَتُبْتَلى، فإن إبتليت فلا تدل عَلَيَّ، وكان الغلام يُبْرِىء الأكمة والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأَدواءِ. فسمع جليس للملك كان قد عميَ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فأمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فَجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: ربيِّ وربُّك الله، فأخذه فلم يزل يُعذِّبه حتّى دَلَّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بُني قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شِقَّاهُ ثم جيء بجليس الملك فقيل له: إرجع عن دينك فأبى

فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: إرجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: إذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم أكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فُعِل بأصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: إذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهم أكفينهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فُعِلَ بأصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كَبِدِ القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم إرمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صُدِغِه فمات. فقال الناس: آمنَّا بربِّ الغلام، فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرُكَ. قد آمن الناس.

فأمر بالأخدود بأفواه السكك فَخُدَّت وأُضرِمَ فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: إقتحم، ففعلوا حتى جاءت إمرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه إصبري فإنك على حق».

* * * *

كيف ندعو الناس
إلى الله تعالى

- صفات الداعية.
- الخطوات التي يتبعها الداعية عند دعوته للناس.



كيف ندعو الناس إلى الله تعالى

كيف يدعوا المبتدىء الذي لم يمارس هذا العمل، ولم يسبق له القيام به، كيف يدعوا غيره؟!!

ولكي نعرف الإجابة على هذا السؤال لابد لنا من التعرف على أمرين مهمين :-

الأمــر الأول :-

التعرف على صفات الداعية، ومحاولة الإتصاف بها بقدر الإمكان، وبحسب الإستطاعة.

الأمر الثاني :-

التعرف على الخطوات المقترحة التي على الداعية أن يتبعها في حديثه مع الناس.

وسأتناول هذين الأمرين بشيء من التفصيل..

الأمـر الأول :

صفـات الداعيـة

عندما إختار الله تعالى أحبابه وأصفيائه من خلقه لحمل رسالته وتبليغ دينـه، زودهم ـ عز وجـل ـ بالصفـات العالية التي تؤهلهم لعملهم هذا المقدس.

ولقد بين الله تبارك وتعالىٰ في القرآن الكريم تلك الصفات التي يجب على كل داعية أن يتصف ويتحلىٰ بها لكي تكون دعوته مقبولة وكلامه مسموعًا.

فقد أخبر الله تعالى في مواضع كثيرة في القرآن قصص الأنبياء وما كانوا عليه من صفات عالية تؤهلهم لهذا المقام الرفيع فحكى الله صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل، وأجمل في مواضع كثيرة صفات جميع الأنبياء عليهم السلام.

أمـا قصـة سيدنا موسى فقد أشبعها القرآن ذكرًا، إجمالاً وتفصيلاً موسعة في بعض السور ومختصرة في سور أخرىٰ.

ولقد بين الله تبارك وتعالىٰ في أحداث قصة موسىٰ عليه السلام صفاته وطريقة دعوته لفرعون ولبني إسرائيل وهي الصفات التي يجب على كل داعية أن يتحلى بها.

وبين الله تعالىٰ صفات أشرف الخلق وأفضل الرسل سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، في مواضـع كثـيرة مختلفـة في القرآن، وهي شمائله الكريمة التي تحلىٰ بها قبل بعثته وبعدها.

وبـين جل وعـلا أن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، هو قدوة الناس جميعًا وعلى كل من يتبعه أن يتأسىٰ به ويتبع سنته وأن يتحلىٰ بصفاته، فهي الصفات المثالية المعصومة من الخطأ والزلل، وهو عليه الصلاة والسلام سيد الدعاة وإمام المصلحين.

ومع هذا كله جاءت السنة المطهرة لتبين لنا أيضًا صفات الداعية وما يجب أن يكون عليه من الصفات الحميدة والشمائل النبيلة والأخلاق العالية الكريمة.

وفيما يلي بعض تلك الصفات من القرآن الكريم والسنة المطهرة، علمًا بأن كل صفة حث عليها الإسلام ورغب فيها، هي من صفات الداعية، وكل خُلق شرعه الإسلام وأمر به هو من أخلاق الداعية، وما هذه الصفات التي سوف أذكرها، إلا نبذة يسيرة منها.

الصفة الأولى:-

اليقيـــن

اليقين هو من أهم وأبرز صفات الداعية، وهو أشرف ما وقر في القلب، وهو أعلىٰ منازل الإيمان وأرفعها، وهو فقر القلب إلى الله ـ عز وجل ـ.

يقول الإمام بن القيم ـ رحمه الله ـ في تعريفه لليقين في كتابه مدارج السالكين[1] :ـ (ما معناه)

أن اليقين هو تحقيق العبودية والإفتقار إلى الله تعالىٰ في كل حاله، وهذا المعنىٰ أجل من أن يسمى فقر بل هو حقيقة العبودية ولبها، وعزل النفس عن مزاحمة الربوبية.

وهو أن يصير العابد كله لله ـ عز وجل ـ، لا يبقىٰ عليه بقية من نفسه وحظه وهواه. فمتىٰ بقي عليه شيء من أحكام نفسه فيقينه مدخول (أ. هـ.)

وتتفرع من اليقين صفات الإيمان والتوحيد. ومن أهم مظاهره ومقتضياته التوكل.. والإستعانة بالله ـ عز وجل ـ واللجوء إليه.. وتعظيمه وإجلاله.. وغير ذلك من صفات الإيمان.

الهداية بيد الله :ـ

لابد للداعية عند دعوته للناس أن يتيقن أن الهداية بيد الله وحده لا يملكها سواه.. قال تعالىٰ :ـ

---

(١) منزلة اليقين: ٢/٤٣٨.

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[سورة القصص، الآية: ٥٦].

﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مُرشدًا﴾[سورة الكهف، الآية: ١٧].

فالهداية التوفيقية لا تكون إلا من الله، وإنما على الدعاة هداية الإرشاد والدلالة، كما أخبر الله عن حالة نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾**[سورة الشورى، الآية: ٥٢].

توكل الداعية :ـ

وهو أن يبدأ إلى الله مما لديه من قدرة أو علم أو غير ذلك.

يبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، ويعتمد على الله إعتمادًا كليًا عند دعوته للناس مع إتخاذه للأسباب المعروفة وجلبه لمن يدعوه ما يكون سببًا لهدايته.

فقد ورد عن أحد السلف أنه قال: «من إعتمد على ماله قل، ومن إعتمد على علمه ضل، ومن إعتمد على عقله خل، ومن إعتمد على جاهه ذل، ومن إعتمد على الله لا قل ولا ضل ولا خل ولا ذل».

وعليه يجب على الداعية أن لا يعتمد على ما عنده من القدرة والذكاء، بل يبرأ إلى الله من كل ذلك ويكون كل يقينه وإعتماده وتوكله على الله.

وليتذكر قول الشاعر:ـ

إذا لم يكن عون الله للفتى ** فأول ما يجني عليه إجتهاده

وليعلم أن التوكل على الله ـ عز وجل ـ والإعتماد عليه هو نصف الدين.. كما يقول الإمام إبن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه «مدارج السالكين»

ونقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال:ـ

إن التوكل هو عمل القلب ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات. ثم تابع الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ تعريفه للتوكل فقال:ـ وحقيقة الأمر أن التوكل معرفة الرب وصفاته: عليهم.. وانتهاء الأمور إلى علمه.. وصدورها عن مشيئته وقدرته.

وهذه المعرفة هي أول درجة يضع فيها العبد قدمه في مقام التوكل.

وليس معنىٰ التوكل أن ننفي الأسباب بل نثبتها ونأخذ بها.

والذين ينفون الأسباب لا يستقيم لهم التوكل فإن الله سبحانه وتعالىٰ قضىٰ بحصول الشبع إذا أكل المرء فإذا لم يفعل لم يشبع.

وقضىٰ بحصول الحج إذا سافر العبد وركب الطريق إلى مكه فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة. وقضىٰ بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض والقاء البذور فيها فمن لم يفعل ذلك لا يحصل إلا الخيبة.

وقضى بدخول الجنة لمن أسلم وعمل صالحًا فإذا ترك الإسلام لم يدخلها أبدًا.

فالجوارح تعمل في الأسباب والقلب متوكلٌ على الله.. فالتوكل إذًا:ـ

رفض الأسباب عن القلب لا عن الجارح فيكون منقطعًا منها بقلبه متصلاً بها بجوارحه والله أعلم، ثم تابع ـ رحمه الله ـ يقول:ـ

ومن علامات التوكل اللجوء إلى الله في كل حال بأن لا يبالي العبد بإقبال الدنيا وإدبارها، ولا يطرب قلبه عليها، لأن إعتماده على الله وسكونه إليه قد حصنه من خوف الدنيا ورجاءها، فحاله حال من خرج عليه عدو فرأى حصنًا مفتوحًا فأدخله ربه اليه وأغلق عليه باب الحصن فعندئذٍ يذهب خوفه وإضطراب قلبه من عدوه.

ومثال ذلك:ـ

حال الطفل الرضيع في إعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه، لا يعرف غيره وليس في قلب الطفل أثناء رضاعته إلتفات إلى غير ثدي أمه. كما قال بعض العارفين: المتوكل على الله كالطفل لا يعرف شيئًا يأوى إليه إلا ثدي أمه.. كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه وتعالىٰ (أ. هـ.)(١)

هكذا ينبغي أن يكون قلب الداعية دائمًا متعلقًا بالله معتمدًا عليه، لا يلجأ إلا إليه في كل أحواله وعلى الدوام.

ولقد ذكر الله تعالىٰ في القرآن الكريم قصة سيدنا موسىٰ عليه السلام مع بني إسرائيل والتي فيها توضيح وتجسيد لهذا المعنىٰ العظيم.

قال تعالى:- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[سورة الشعراء، الآية: ٦١].

هكذا كان عليه السلام لم يتأثر بوجود البحر أمامه والعدو من خلفه بل قال كلمته العظيمة: ﴿**كلا إن معي ربي سيهدين**﴾ أى أن كل هذه الأحوال التي تحيط بي لا تخيفني فإن معي ربي سيهدين.

وليعلم الداعية أن كل من سوىٰ الله هو ضعيف، وعاجز، وفقير، ولا يقدر على فعل شيء، وقد وصف الله تعالىٰ في القرآن الكريم الذين إتخدوا من دون الله أولياء. وصف أوليائهم كمثل خيط العنكبوت الواهية الضعيفة.

---

(١) إنتهىٰ كلام ابن القيم (مدارج السالكين).

قال تعالىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤١].

ولكي يكتمل التوكل في القلب فإنه لابد للداعية أن يمتلأ قلبه بمعرفة الله ـ عز وجل ـ وصفاته، ويتيقن أن له ربًا عزيزًا قادرًا. له نعوت الجلال، وصفات الكمال بيده قلوب العباد يقلبها كيف يشاء.. قد أحاط بكل شيءٍ علما، فلا يعذب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٥٩].

وقال تعالىٰ:ـ ﴿**وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾ [سورة الحجر: الآية: ٢١].

معيــة الله :ـ

أكـرم الله تعـالى كل من يدعو إليه ويبلغ دينه بأن يحيطه بمعيته، ويشمله بنصره، ويؤيده بتأييده. وهذه هي أعظم مكافأة للداعية في الدنيا، فهو منصور بنصر الله، ومحفوظ بحفظه.

ولقـد نهىٰ الله ـ عز وجـل ـ نبيه موسىٰ عليه السلام وأخاه هارون عندما أمرهما بالذهاب إلى فرعون. نهاهما عن الخوف من فرعون وسطوته، وبين لهما أنه معهما يسمع ويرىٰ.

فقال تعالىٰ مبينًا حالهما:ـ

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [سورة طه، الآية: ٤٥ ـ ٤٦].

وفي قصة الغار المشهورة . . قصة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، مع صاحبه أبي بكر بيان واضح لهذه المعية.

يقول تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠].

ومعنى المعية في الآيتين السابقتين كما ذكر العلامة الألوسي - رحمه الله - في تفسيره روح المعاني: ﴿إن الله معنا﴾ ت أي بالعصمة والمعونة فهي معيةٌ مخصوصة وإلا فهو تعالىٰ مع كل واحدٍ من خلقه (أ. هـ.).

ومعية الله مع كل أحدٍ من خلقه تكون بالإحطاة والعلم، ولكن مع الصالحين والدعاة فهي معيةٌ مخصوصة بعلمه بهم وإحاطته لهم، وعونهم وامدادهم بنصره وتأييده.

* * * *

الصفـــة الثانيـــة :

العـــــلـم

ومقصود هذه الصفة أن ينتبه الداعية إلى كل ما يقوله ويدعوا إليه، فلا يدعوا إلا لأمرٍ إستبان عنده صحته، ولا يأتي بآية لا يعرفها ولا يحفظها، فإن في ذلك قلة أدب مع القرآن الكريم، فالمخلوق الضعيف الحقير لا يحب أحدًا أن ينقل كلامه مقطعًا أو ناقصًا أو متغيراً، فكيف بالخالق الأعظم وله المثل الأعلى؟!

وكذلك حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، ينبغي على الداعية ألا يُحدِّث به إلا بعد التأكد من صحته والتثبت من سنده.

وإذا كان الداعية لا يحسن القرآن والحديث فعليه أن يرغب الناس في الطاعة ويدعوهم إلى الخير ويتكلم معهم كلام الدين والإيمان دون أن يذكر آية أو حديث، ويستطيع أن يُذكرِّ من يدعوهم بضرورة التقوىٰ وفوائدها وخطورة المعاصي وعقابها، وكيف أن الله تعالىٰ جعل الخير كل الخير في طاعته وإمتثال أمره، وجعل الشر كل الشر في معصيته ومخالفة أمره، ويمكن له أيضًا أن يتكلم عن الموت والقبر والمحشر وغير ذلك من أمور الآخرة دون أن يتطرق إلى آية أو حديث إحترامًا لمقام القرآن والسنة.

ومع أنه لا يشترط على الداعية أن يكون عالمًا أو فقيهًا إلا أنه يجب عليه وعلى كل مسلم مهما كانت صفته أن يطلب العلم الشرعي، ويجتهد في تحصيله على قدر إمكاناته وقدراته، وبحسب ما تقتضيه الحاجة إليه.

فالعلم هو أشرف مطلوب وأعز مقصود بعد الحصول على الهداية، والله ـ عز وجل ـ مدح طلاب العلم في آيات كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿يَرۡفَعِ

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[سورة المجادلة، الآية: ١١].

ومدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، طالب العلم في أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**»(١).

وهناك بعض العامة من المسلمين من يظن أنه لابد للداعية من أن يكون فقيهًا أو عالمًا، وهذا ليس بصحيح، فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع جلالة قدرهم ومكانتهم عند الله ورسوله لم يكونوا كلهم علماء أو فقهاء، ومع ذلك كانوا كلهم دعاة ومبلغين ومجاهدين.

فمثلاً سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ جميعًا، مع رفعة مكانتهم، وعظيم قدرهم، وشرف منزلتهم، إلا أنهم لم يكونوا من قراء الصحابة المشهورين كعبد الله بن مسعود وغيره، ولم يكونوا في العلم كمنزلة معاذ بن جبل وغيره، ولم يكونوا من مكثري رواية الحديث كأبي هريرة وغيره، وهذا كله لم ينقص من قدرهم، فهم أفضل الصحابة طرا، وأكثرهم جهادًا وتضحيةً وبذلاً.

وعليه يجب على المسلم أن لا يتقاعس عن عمل الدعوة ولا يتعلل بكونه ليس فقيهًا أو عالمًا، بل عليه أن يدعوا بما يعلم ويعرف من أمور دينه المهمة كالتوحيد والصلاة وغيرها، لأن الكثير ممن يعيشون في البلاد الإسلامية المختلفة ينقصهم هذا العلم الضروري.

وعلى الداعية أن لا يكتفي ولا يقنع بما عنده من علم أو معرفة بل عليه أن يستزيد من طلب العلم الشرعي فكما أن أكثر الناس لا يقنعون بما عندهم من المال وحطام الدنيا، فكذلك يجب على الداعية أن لا يقنع بما

---

(١) صحيح الجامع ٦٢٩٧.

عنده من العلم الشرعي بل عليه أن يستزيد من هذا الخير وأن يجتهد في تحصيلة والبحث عنـه، فيجلس في مجالس العلماء، ويستمـع إلى آرائهم وأفكارهم وينمي حصيلته العلمية بالقراءة والإطلاع والإستماع إلى الأشرطة الدينية المفيدة، وإقتناء الكتب الإسلامية النافعة.

وعليه كذلـك أن يرحل لطلب العلم إذا لم يتوفر في بلاده أو قريته العلماء والفقهاء، وعليه أيضًا أن يُفرغ بعضا من وقته لحظ القرآن الكريم وتجويده.

وفي العموم يجب على الداعية أن يربط بين العلم والدعوة إليه، فهما أمران متلازمان لا غني لواحد منهما عن الآخر.

فلا يشغـل كل وقته في عمل الدعوة ويترك تحصيل العلم الشرعي المهم، والذي هو مادته الذي يبلغها للناس، فلابد عليه أن يعرف غثها من سيمنها، والملاحظ أن أكثر الناس اليوم يعرفون أمور دنياهم ومعاشهم ولا يحتاجون إلى أحد يرغبهم في معرفتها.

مثـــال :-

المـوظف في الحكـومة أو شركة من الشركات من أول يوم يتعين في وظيفته، يبدأ يتعرف عليها ويتعلم أسسها وقوانينها، وما يمر عليه شهر أو سنة إلا وقد تعلم كل ما يحتاجه في وظيفته وعمله.

ولكن مع الأسف الشـديد هنـاك كثير من المسلمين في بلاد العالم المختلفة ينتسبون إلى الإسلام، وتمضي عليهم أعوام كثيرة وهـم مسلمون، ولكنهم لا يعرفون عن دينهم إلا الشيء اليسير. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * * *

الصفة الثالثة :

الرفق واللين

الرفق واللين من أهم صفات الداعية، وهو من أبرز شمائله وأخلاقه.

وإذا كان المسلم في حياته اليومية يحتاج هذه الصفة الطيبة في تعامله مع الناس، فإن الداعية أشد حاجة إليها في دعوته.

وما ذلك إلا لأن الله تعالىٰ طبع القلوب وفطرها على حب الرفق واللين، وقد بين ذلك في كتابه العزيز مخبرًا عن حال نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، قال تعالى :- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [سورة آل عمران، الآية : ١٥٩].

يعني أن الناس بطبيعتهم وفطرتهم لا يحبون الفظ الغليظ القلب.

وأن النفس البشرية لا تستريح أبدًا للعنف والشدة، بل تنفر من ذلك وتبتعد عنه.

وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرفق في الأمر كُلِّه**» متفق عليه.

وعنها أيضًا أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن الله رفيق يحبُّ الرِّفق، ويعطي على الرِّفق مالا يُعطى على العُنفِ ومالا يُعطى على ما سواه**» رواه مسلم.

وعنها أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلاَّ زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه**» رواه مسلم.

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**» رواه مسلم.

وقد جعل النبي، صلى الله عليه وسلم، اللين سببًا لدخول الجنة ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**من كان سهلاً هينًا لينًا حرمه الله على النار**»(١).

وقد ورد عنه أيضًا أنه، صلى الله عليه وسلم، قال في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في التاريخ وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيراً أدخل عليهم الرفق**»(٢).

فلابد للداعية أن يرفق بمن يدعوهم، ويختار أطيب الكلام وأحسنه والينه، لكي يصل إلى هدفه.

وقد جعل النبي، صلى الله عليه وسلم، حسن الكلام من موجبات المغفرة، فقال في الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني عن هانىء بن يزيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام**»(٣).

وعليه يجب على الداعية أن يتوخى الرفق واللين في دعوته، وإذا أراد أن يأمر بالمعروف فليكن أمره بمعروف، فالله تعالىٰ عندما أرسل رسوله موسىٰ وأخاه هارون عليهما السلام إلى فرعون، أمرهما أن يترفقا معه في الكلام، ولا يغلظان عليه، وكلنا نعلم أن فرعون كان طاغية جبارًا، إدعىٰ

(١) صحيح الجامع ٦٤٨٤.
(٢) صحيح الجامع ٣٠٣.
(٣) صحيح الجامع ٢٢٣٢.

الربوبية، وسيدنا موسىٰ وأخوه هارون عليهما السلام كانا رسولين من رب العالمين، ومع هذا فإن الله تعالىٰ أمرهما قائلاً:ـ ﴿**إذهبا إلىٰ فرعون إنَّهُ طغىٰ، فَقُولاَ لهُ قولاً لَّينًا لَّعلَّهُ يتذكر أو يخشىٰ**﴾ [سورة طه، الآية:٤٣].

ولقد أعجبني كلام أحد الحكماء وهو يرغب الناس في الرفق بقوله: «**يدرك بالرفق مالا يدرك بالعنف، ألا ترىٰ أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته**».

وقد يحتاج الداعية أحيانًا إلى الجدال، فإذا إحتاج لذلك فينبغي أن يكون جداله متميزًا فلا يقصد به أن ينتصر لرأيه، بل يقصد إظهار الحق، وبيان العدل، ولابد أن يكون الجدال بالحسنىٰ والكلمة الطيبة، لأن الله تعالىٰ أمر نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، وهو الرؤوف الرحيم أمره بقوله:ـ

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، الآية:١٢٥].

وعلى الداعية أن يراعي أحوال الناس، فلا يشدد عليهم ولا ينفرهم بتكليفهم مالا يطيقون ولا يستطيعون، بل عليه أن يترفق بهم ويمتثل أمر سيد الدعاة وإمام المرسلين محمد، صلى الله عليه وسلم الذي أمر الأمة بقوله: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعوا ولا تختلفا**» متفق عليه.

نموذجان من الرفق النبوي

يروي الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه قال: «بَال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم، «**دعوه وأريقوا على بَوْلِهِ سَجْلاً من ماءٍ، أو ذَنُوبًا من ماءٍ، فإنما بُعِثتم مُيسرين ولم تُبعَثوا مُعسِّرين** رواه البخاري.

ويروي الصحابي الجليل معاوية بن الحكم السلمي قال: بينما أنا أُصلي مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أُمياه ما شَأنكم تنظرون إليَّ فجعلوا يضربونَ بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يُصمتونني لكني سكتُّ. فلما صلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعَلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قالَ: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن**» رواه مسلم.

* * * *

الصفــة الرابعــة :

عدم الانتصار للنفس

وهذه من أهم الصفات التي يجب أن لا تنفك عن الداعية في جميع أحيانه، فلا ينتصر لنفسه إذا نال أحدٌ منه، بل ينتصر لله تعالىٰ ولدينه، وهذه هي صفة المصطفىٰ، صلى الله عليه وسلم، فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يغضب إلا إذا إنتهكت حرمات الله، فقد روىٰ الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه قال :ـ

كنت أمشي مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء. «متفق عليه».

وفي حديث آخر عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ـ رضي الله عنه ـ قال :ـ

جاء رجل إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال : إنِّي لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلانٍ مما يُطيل بنا!

فما رأيت النبي، صلى الله عليه وسمل، غَضِبَ في موعظةٍ قط أشدَّ مما غضب يومئذٍ. فقال : «**يا أيها الناس : إنَّ منكم منفِّرين. فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة**» «متفق عليه».

وروت ستنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : «**ما ضرب رسول الله، صلى الله عليه وسلم شيئًا قط بيده، ولا امراة ولا خادماً، إلَّا أن يجاهد في**

سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلاَّ أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالىٰ» «رواه مسلم».

ولقد بين الله تبارك وتعالىٰ حال سيدنا موسىٰ عليه السلام وغضبه الشديد على بني إسرائيل عندما إتخذوا العجل وعبدوه من دون الله، بعد أن أضلهم السامري. وفي ذلك بيان على أن غضب الداعية لا يكون إلا لله. .

قال تعالى:ـ

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ [سورة طه، الآية: ٨٦].

وفي موضع آخر في سورة الأعراف صور الله تعالىٰ هذه الحادثة بقوله:ـ

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٥٠].

ولقد أشار الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى هذه الحادثة في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس الخبر كالمعانية: إنَّ الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يُلق الألواحَ، فلما عاينَ ما صَنعوا، ألقى الألواحَ فانكسرت**»(١).

فالداعية المسلم الحق يجب عليه أن يتجرد من حظوظ نفسه ومن

(١) صحيح الجامع ٥٣٧٤.

شهواتها ورغباتها، وأن يملك نفسه عندما ينال أحد منه أو من دنياه الفانية، فلا يغضب ولا يثور إلا لله.

ولا شك أن هذا يحتاج إلى إيمان قوي، وإلى شدة وشجاعة، كما أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الشريف: «**ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» متفق عليه.

الصفـــة الخامســـة :

الصبر على الأذى

الداعية في كل زمان ومكان لا يسلم طريقه من الأشواك والعقبات، ولكن كل ذلك لا يمنعه من العمل المتواصل والمثابرة على دعوته، فهو يحتاج إلى الصبر، ولا بد له من إحتمال الأذىٰ، فالطريق ليست ممهده وعلى قافلته المباركة أن تسير رغم كل ما تلقاه وتصادفه من متاعب وعقبات.

وكل الأنبياء عليهم السلام لاقوا الصعوبات والويلات من أقوامهم، ولكنهم مع ذلك صبروا وثبتوا حتى أظهر الله الحق.

فهذا نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، عرض عليه المنصب والمال والنساء عن طريق عمه أبي طالب مقابل أن يترك دعوته، ولكنه، صلى الله عليه وسلم، رفض هذا الإغـراء الكبـير بقوله: «**لا ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمـر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه**»[1].

وفي رفضه لهذا الإغراء صبر عظيم أيما صبرا! إنه الثبات على المبدأ أمام كل التيارات، وضد كل العقبات.

وقد تكلم الإمام إبن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ عن هذه الصفة في كتابه مدارج السالكين يقول: ـ

قال الإمـام أحمـد ـ رحمـه الله :ـ الصـبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا، وهو واجب بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان:

---

(١) تهذيب سيرة إبن هشام ص٦٧.

نصف صبر، ونصف شكر وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعًا، وهو بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، وقد أخبر النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح أن:ـ «**الصبر ضياء**»(١).

وأخبر، صلى الله عليه وسلم، أن الصبر خير كله فقال: «**ما أعطى أحدٌ عطاءً خيرٌ وأوسع من الصبر**»(٢) إلى آخر ما قاله الإمام إبن القيم ـ رحمه الله ـ..

فما أحوج الداعية إلى هذه الصفة العظيمة صفة الصبر، لأنه ليس من السهولة أن يتنازل إنسان هذا العصر الذي تأخذه العزة بالإثم عن كبريائه وغروره، فيحني نفسه لخالقه، ويستجيب لدعوته، فيتمثل أمره تبارك وتعالىٰ ويجتنب نهيه.

ولكن بالصبر والتحمل يتحصل الداعية على ما يريد ويصل إلى هدفه.. وقد قيل:ـ

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ** وبالتقوىٰ يلين لك الحديد

وقد أمر الله المؤمنين بالإستعانة بالصبر والصلاة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٣]. وسبب ذلك أن في الصبر والصلاة مداد للمؤمن وقوة له على طاعة الله، وزاد له في طريقه، وعون له على سائر شئون حياته، والله أعلم.

ومن علامات الصبر عدم اليأس والثبات على المبدأ، وهذه من أهم الأمور المطلوبة من الداعية.

---

(١) صحيح الجامع ٣٩٥٧.

(٢) صحيح الجامع ٥٨١٩.

وقد أمر الله تعالى نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، وهو سيد الدعاة، وإمام الأنبياء والرسل وارحمهم وأرأفهم على أمته أمره أن يصبر على أذى قريش وعنتهم.

كان ذلك في مواضع كثيرة في القرآن منها قول الله تعالى: ﴿**واصبر وَمَا صَبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيقٍ مما يمكرون**﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ [سورة المزمل، الآية: ١٠].

إلى غير ذلك من الآيات المباركات التي يطول المقام بذكرها.

❊ ❊ ❊ ❊

الصفة السادسة :

الصلاة

الصلاة هي محطة الداعية الكبرىٰ التي يتزود منها بأنوار الهداية، وقوة الإيمان، وهي راحته في طريقه الصعب الطويل، حيث يجد فيها سعادة وتعزية وتسلية وغبطه، ويتزود منها زادًا يدفعه إلى المسير قدمًا نحو هدفه الأكبر.

إنها النور الذي يهديه ويضيء له ويوصله إلى غايته، تضيء له طريقه، فيأمن من خطر الغي والضلال، ويبتعد عن الإثم والرذيلة، كما أخبر تبارك وتعالىٰ في كتابه العزيز: **﴿إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر﴾** [سورة العنكبوت، الآية: ٤٥].

تأخذ الصلاة بيد العبد المسلم فتدخله في مناجاة مع خالقه وسيده ومولاه، فيتحدث معه ويناجيه.

وفي ذلك يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث: «**إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يناجي ربَّهُ فلينظر كيف يناجيه؟!**»(١).

وقال في حديث آخر: «**إن الرجل إذا دخل في صلاته أقبل الله عليه بوجهه فلا ينصرف عنه حتى ينقلب أو يُحدثَ حدث سوءٍ**»(٢).

فالصلاة في حياة المسلم عامةً وفي حياة الداعية خاصة لها منزلة عظمىٰ ومنقبة كبرىٰ، فهي عمود الدين وعنوان السعادة، وهي نور للمسلم

---

(١) صحيح الجامع ١٥٣٨.
(٢) صحيح الجامع ١٦١٤.

في الأرض و ذخرٌ له في السماء، وهي عون له على مشاف الحياة. وقد كانت من قبل قرة عين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومفزعه عند الشدائد وراحته من المشاق.

هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة يجتمع فيها من أنواع العبادات مالا يجتمع في غيرها، وهي الصلة بين العبد وربه، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان.

فإذا أتم المعلم وضوءها وركوعها وسجودها وأداها بخشوع وخضوع، فإنها تكسبه نورًا وإيمانًا، وتفعم قلبه محبةً وتعلقًا بالله.. وعندها لا يأنس إلا بها، ولا يستطيب العيش إلا معها، ولا تحلو لها الحياة إلا بمناجاته لمولاه.

ينتظر الداعية أوقات الصلاة إنتظارًا ويشتاق إليها إشتياقًا، ويحن إليها كما يحن المحب لحبيبه، والصب لمن يهواه، فإذا قرب ميعادها، أو حل وقتها عاد إليه قلبه، ورجعت اليه حواسه بعد طول غياب، كل أمنياته أن تكون كل الأوقات صلاة، وكل رغباته أن تتحول جميع الساعات إلى مناجاةٍ ولقاء ليسعد بالحديث مع خالقه ومولاه تبارك وتعالىٰ.

يجد الداعية المؤمن الحق.. يجد في الصلاة حلاوة وطلاوة، وفي الركوع والسجود قربة وأمنا وفي القيام والقعود طمآنينة وبردا، تعلمه الصلاة ألا يأنس إلا بالله، ولا يخشع إلا له، ولا يطلب المدد إلا منه، ولا يتعلق إلا به تبارك وتعالىٰ.

يجد الداعية المؤمن في الصلاة الخاشعة حلاوة الإيمان، ولذة المناجاة وأمن الطاعة، وبرد السكينة، وصحة اليقين.

تتحول الصلاة بالنسبة له إلى جنة الله تعالىٰ في الأرض، وهي التي عناها الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في حديثه إذ يقول :ـ

إن لله تعالىٰ جنة في الأرض من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

فالصلاة ذات الخشوع والخضوع هي جنة الله في الأرض، ومن لم يدخلها ويتذوقها لا يدخل جنة الآخرة.

وصدق النبي، صلى الله عليه وسلم، عندما قال: «**يا بلال! أقم الصلاة، أرحنا بها**»[١] كأنه صلى الله عليه وسلم يعلنها للأمة كافةً إلى يوم القيامة أن الحياة بدون الصلاة تعب ومعاناة، وأن الأحوال بدونها تعاسة وشقاء فهي الراحة في منعطف طريق الحياة المتعب الكؤود، وهي السعادة للنفوس التائه الحائرة الشقية.

لاحظ في الإسلام لمن ضيعها. ومن ضيعها فهو لما سواه أضيع.

وحسب الصلاة شرفًا ومكانة إنها الصلة بين العبد وربه، فإذا قطع العبد هذه الصلة التي تربطه بخالقه ومولاه فعندئذ يقطع الله عنه عونه ونصره ويكله إلى نفسه فتتقاذفه المحن، وتتجاذبه الفتن ويدركه الشقاء، ويسلط عليه البلاء، وهيهات.. هيهات.. أن يفلح عبد تخلىٰ عنه مولاه.

أما قيام الليل فذلك ميعاد الخلوة مع الله والتزود من إمداداته والإستنارة بأنواره.

يأخذ الداعية من القيام.. شحنه عظيمة وطاقة كبيرة تعينه على تبليغ دعوته، وإيصالها إلى الناس.

قيام الليل هو مشكاة لله الداعية الذي يُنير له حياته وحياة الآخرين.. ومن ثمَّ يجد الناس في الداعية الذي خلىٰ بربه وقام من ليله، يجدون فيه دعةً ورحمة وقبولا.

يوضع له القبول في الأرض، فلا تجفوه النفوس.. ولا تنفر منه القلوب.

---

(١) صحيح الجامع ٧٨٩٢.

إذا تكلم التفت إليه الناس واستمعوا إليه واستأنسوا بحديثه.

فإذا سكت إستوحشوا وتمنوا أن لا يقطع حديثه معهم الذي يجدون فيه شبعًا وريا لقلوبهم الجائعة المحتاجة لأنوار الله تعالى.

يدّخِر الداعية من طول القيام قوتًا يعينه على طريقه الشاق الصعب.

وقد أمر الله تبارك وتعالىٰ نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، بقيام الليل فقال جل من قائل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٩].

وأمره في موضع آخر بذلك أيضًا فقال: **﴿يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو إنقص منه قليلا، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا، إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً، إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا، إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾**.

وقد كان صلى الله عليه وسلم، يقوم الليل حتى تتفطر قدماه وهو الذي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقد كان قيام الليل في حقه صلى الله عليه وسلم، واجبٌ أما بالنسبة لأمته فهو سنه مؤكدة، بل هو أفضل الصلاة بعد المكتوبة.. كما صح بذلك الحديث.

وقد ورد في فضل قيام الليل قوله، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الصحيح: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد**»[1].

* * * *

(١) صحيح الجامع ٤٠٧٩.

الصفــــة الســـابعـــة :

الذكـــر والدعـــاء

ذِكر الله تعالىٰ هو القوت الذي يمد القلب بالحياة، قال عليه الصلاة والسلام: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره: مثل الحى والميت**»(١).

فحياة القلب بالذكر هي ليست الحياة العادية التي يعرفها كل الناس.

هناك فرق كبير بين حياة القلب الذي يذكر الله، وحياة القلب الذي يتدفق بالدم ولا يذكر الله، فقد يكون القلب نابضًا، ولكنه ميت، وهذا ما بينه رب العالمين في كتابه العزيز حيث يقول: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢].

فالموت في هذه الآية هو خلو القلب من الهداية والإيمان.

فالقلوب بدون ذكر الله هي قلوب ميتة ولو كانت في عُرف الناس حية ترزق، إلا أنها عند الله تعالىٰ جيفة منتنه ميته، لأنها خلت من أعظم أمر وأقدس شيء.. خلت من ذكر الله.

والداعية لا يمكن أن يبلغ دعوته، وأن يثبت في مساره، إلا إذا جعل من ذكر الله تعالى رفيقًا في مساره، إلا إذا جعل من ذكر الله تعالى رفيقًا ملازمًا له، فلا يغفل ولا ينسىٰ ذكر ربه ما إستطاع إلى ذلك سبيلا، بل يكون لسانه رطباً من ذكر الله تعالىٰ.

---

(١) في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقد أمر الله نبيه موسىٰ عليه السلام وأخاه هارون بالإستدامة على ذكر الله وعدم التواني في ذلك عندما أرسلهما إلى الطاغية فرعون، فقال في كتابه العزيز: ﴿**إذهَبْ أنتَ وأخُوك بأيتِي ولا تنيا في ذكرى**﴾[سورة طه، الآية: ٤٢].

ولقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة في فضل الذكر منها قوله تعالى: ﴿**ولذكر الله أكبر والله يعْلمُ ما تَصْنَعُون**﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٥]].

وكذلك ورد في الأحاديث كثير من فضائل الذكر منها قوله، صلى الله عليه وسلم: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»[1].

أما الدعاء فهو واحد من أهم مصادر الهداية لا يستغني عنه الداعية أبدًا في كل أحيانه.

فالله تعالىٰ من صفاته أنه «**يستحي أن يرد يدى العبد خائبتين صفرا**»[2].

وهذه فرصة عظيمة للداعية وغيره، أن يمد يديه لله تعالىٰ، يدعوه أن ينزل هدايته ورحمته عليه وعلى كل من يدعوه، وعلى الأمة كلها.

وقد جاء في الحديث عن فضل الدعاء قوله صلى الله عليه وسلم: «**ليس شيء أكرم على الله تعالىٰ من الدعاء**»[3].

* * * *

(١) صحيح الجامع ٥٠٣٧.
(٢) صحيح الجامع ١٧٥٧.
(٣) صحيح الجامع ٥٣٩٢.

الصفة الثامنة :

الإخـــــلاص

الإخلاص هو روح عمل الداعية، وأهم صفاته فبدون الإخلاص يكون جهد الداعية وعمله هباءً منثورا . . ويكون تعبه وعناءه لا طائف من ورائه، بل يذهب أدراج الرياح .

وقـد بين الله تعالىٰ في مواطن كثيرة في القرآن حاله أنبيائه ورسله، عندما قاموا للدعوة إليه، وتبليغ دينه .

كلهم عليهم السلام كانوا يقولون للناس لا نسألكم عليه أجرًا .

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية المسلم لا يطلب أجره إلا من الله تعالىٰ .

وقـد أمر الله ـ عز وجل ـ عباده بإخلاص الدين له فقال في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [سورة البينة، الآية: ٥].

وقد شرح الإمام إبن قيم ـ رحمه الله قول الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [سورة الملك، الآية: ٢].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه .

قالوا: وما أخلصه وأصوبه؟

فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا: لم يقبل حتى يكون خالصًا صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة . «مدارج السالكين» .

وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنـه قولـه، صلى الله عليه وسلم: «**ثـلاث لا يغل عليهن قلب مسلم :**

إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[١].

وقد ورد عنه أيضا، صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**»[٢].

ثم قال الإمام إبن القيم ـ رحمه الله ـ معرفًا للإخلاص فلي كتابه «مدارج السالكين».

أما الهروي فجعل الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عَقْد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنا ما كان.

وأول درجاته عنده:ـ

إخراج رؤية العمل عن العمل. والخلاص من طلب العوض على العمل.

والنزول عن الرضا بالعمل، يعرض للعامل في عمله ثلاث آفات:ـ

رؤيته، وملاحظته، وطلب العوض عليه ورضاه به، وسكونه إليه..

(أ. هـ) إلى آخر ما قاله ـ رحمه الله ـ.

* * * *

(١) صحيح الجامع ٦٧٦٦.

(٢) صحيح الجامع ٤٨٢.

الأمر الثاني:

القدوة الحسنة

ومقصود هذه الصفة أن يكون الداعية المسلم قدوةً فيما يدعوا إليه، فلا يناقض كلامه فعله..

ففي ذلك عيب كبير، وخطر عظيم. يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف: الآية: ٣].

وقد بين النبي، صلى الله عليه وسلم، في الحديث الشريف حال الدعاة الذين يأمرون الناس وينهونهم وينسون أنفسهم قال: «**أتيت ليلة أُسري بي على قومٍ تقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلمّا قرضت وفت، فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباءُ أمتكَ الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به**»(١)

ولا يقتصر الخطر على الداعية وعلى دينه بل يتعدىٰ إلى كل من يدعوهم.

وإن مما يذكر في هذا الشأن، أن إنحراف الداعية وخروجه عن النهج الصحيح هو في نفس الوقت سببٌ في إنحراف كل من تأثر به أو سمع منه.
وما ذلك إلا بسبب أن سلوك الداعية وتصرفاته كلها مرصوده من قبل الناس، وجميع أفعاله وأقواله موضوعة تحت المجهر.

فليحتاط الداعية لهذا الأمر المهم، ويراقب أفعاله وأقواله.. وليرى الله تعالىٰ من نفسه خير.

---

(١) صحيح الجامع ١٢٩.

وعليه أن يكون قدوةً صالحة حسنة لكل من يراه أو يسمع منه، وأن لا ينسىٰ في كل أوقاته أن يطلب أجر عمله من الله، ولا يأبه ولا يكترث للناس، بل يكون عمله خالصًا لوجه الله تعالىٰ. . وهذا سر القبول.

وليعلم الداعية أن مثاله. مثال المعلم الذي يعلم الناس، فهم لا يسمعون له ولا يتأثرون به إلا إذا بدأ بنفسه واجتهد عليها، وكان هو في نفسه قدوة.

وقد بين أحد الشعراء أهمية هذا الأمر بقوله:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي ... الضنى كيا يصح به وأنت سقيم

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدًا وأنت من الرشاد عديم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ما تقول ويهتدي ... بالقول منك وينفع التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

* * * *

الأمر الثانـــي :

الخطوات التي يتبعها الداعية عنـد دعوتـه للنـــاس

الطرق التي يتبعها الداعية عند دعوته للناس هي عديدة ومتنوعة، وأكثر من أن تقع تحت حصر، إلا أن هناك نموذجًا يدلنا عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن نقتبس منه واحدة من الطرق العديدة التي ينبغي للداعية أن يتبعها عند دعوته للناس.

في الحـديث يقـول عليه الصـلاة والسـلام: «**من قال حين يسمع النـداء: اللهم ربَّ هذه الـدعـوة التـامة، والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محمودًا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[1].

الملاحظ من الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم، سمىٰ الآذان دعوةً تامة.

والفـاظ الآذان معـروفـة: التكبـير، ثم الشهـادتان ثم الدعوة إلى الصلاة.. الخ.

وبـما أن الفـاظ الآذان هذه هي دعوة تامة فينبغي على الداعية أن يسلك هذا الترتيب عند دعوته للناس.. وعليه أن يتبع ما يلي:ـ

أولاً :ـ

أن يتكلم مع من يدعوه في عظمة الله وكبريائه وقدرته، وأسمائه، وصفاته.

(١) صحيح الجامع ٦٤٢٣.

وهذا مقتبس من التكبيرات الأربع الأول.

ثانيًا:

يتكلم في ضرورة الإيمان بالله تبارك وتعالىٰ، وضرورة التعبد والخضوع له، وامتثال أمره، واجتناب نهيه. وهذا مقتبس من أشهد أن لا إله إلا الله.

ثالثاً :

يتكلم في أهمية إتباع النبي، صلى الله عليه وسلم، والإقتداء به في كل عمل من الأعمال الظاهرة والباطنة.

رابعًا: ـ

يتكلم في أهمية الصلاة، وضرورة المحافظة على أوقاتها وركوعها وسجودها وأدائها مع الجماعة في المسجد.

وهذا مقتبس من حي على الصلاة.

خامسًا:ـ

أن يبين للمدعو أن فلاح الإنسان ونجاحه لا يكون إلا بالدين والخضوع للخالق تبارك وتعالىٰ واللجوء إليه، وتسليم الأمر له في كل حال وهذا مقتبس من بقية الفاظ الآذان.

وهذه الخطوات ليست إلزامية للداعية ويمكنه أن يدعوا الناس بأي طريقة أحب، وبأي خطوات يراها مناسبة.

إلا أن هناك أمور أخرىٰ ينبغي على الداعية أن ينتبه إليها قبل الحديث مع من يريد دعوته، سواءً كان صاحبًا أو قريبًا أو غير ذلك.

على الداعية أن يسبق حديثه بجملةٍ من الأخلاق الفاضلة الكريمة، التي حث عليها ديننا الحنيف وهي كالتالي:ـ

١ ـ أن يبدأ من يدعوه بالسلام وهي تحية الإسلام المباركة الطيبة وهي

من حقوق المسلم المعروفة وقد جاء في الحديث قوله، صلى الله عليه وسلم، في فضل السلام: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(١).

٢ ـ أن يمزج ألفاظ التحية بالتبسم والإبتسام فإن لذلك أثره في نفس المدعو، وقد حث النبي، صلى الله عليه وسلم، في أحاديث كثيرة على ذلك منها قوله: «**لا يحقرنَّ أحدكم شيئًا من المعروف، فإن لم يجد فليلق أخاهُ بوجهٍ طلق..**»(٢).

وفي حديث آخر قوله، صلى الله عليه وسلم: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**»(٣).

٣ ـ أن يمد يده مصافحًا له. ففي إلتقاء اليدين وتماسكهما أسرار.. وأسرار، فاليد طريق إلى القلب. وقد جاء في الحديث قوله، صلى الله عليه وسلم: «**ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده، لا يأخذ بيده إلا لله، فلا يفترقان حتى يغفر لهما**»(٤).

٤ ـ أن يربت على كتفيه ويمسحه ويدعوا له محبةً وتقديرًا. وقد ورد في الحديث أن النبي، صلى الله عليه وسلم: «**كان إذا لقيه الرجل من أصحابه مسحه ودعا له**»(٥).

٥ ـ أن يناديه بأحسن أسمائه، وأحبها إليه إن عرفه. وإلا تعرف عليه بوجهٍ هاش باش ثم يسأله عن حاله.

---

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) صحيح الجامع ٧٦٣٤.
(٣) صحيح الجامع ٢٩٠٨.
(٤) صحيح الجامع ٥٧٧٨.
(٥) صحيح الجامع ٤٧٨١.

٦ ـ أن يكون لبقًا في الحديث معه، متحينًا فرصةً للدخول إلى قلبه، ثم بعد ذلك يبدأ بعرض دعوته عليه.

٧ ـ على الداعية أن يحافظ على هندامه ومظهره الذي يظهر به أمام الناس. ففي حسن الهندام، وطيب الرائحه، ولين العريكه، وجمال المظهر أثره الكبير في إستجابة المدعو.

٨ ـ أن لا ينسىٰ الداعية إضافةً إلى كل ما سبق أن يشحن قلبه مسبقًا وقبل شروعه بدعوة الناس، بالذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن فإن في ذلك عون كبير له في إيصال دعوته.

وقد سبق الإشارة إلى هذا في صفات الداعية.

وفي الختام أسأل الله تعالىٰ أن يبصر كل مسلم بما يجب عليه القيام به، وأن يوفق المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها بأن يكونوا دعاةً إلى الله وإلى رسوله ومبلغين دينه.

إنه هو ولي ذلك، والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

* * * *

الفهرس

الموضــــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

توزيـع

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الرياض ١١٤٣١ ص.ب. ١٤٠٥

هاتف: ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



ردمك: ٦ - ١١٩ - ٢٧ - ٩٩٦٠

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض